سلسلة التفسير الموضوعي (٢)

تربية الأسرة المسلمة

«في ضوء سورة التحريم»

بقلم

الدكتور مصطفى مسلم

الأستاذ المشارك

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

١٤١١هـ - ١٩٩١م

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سلسلة التفسير الموضوعي (٢)

تربية الأسرة المسلمة

«في ضوء سورة التحريم»

بقلم
الدكتور مصطفى مسلم
الأستاذ المشارك
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

١٤١١هـ - ١٩٩١م

نشر وتوزيع
دار المنارة
مكة المكرمة - جدة

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونسترشده ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً .

والصلاة والسلام على النبي الأمي الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة وجاهد في الله حق جهاده وبيّن للناس مانزّل إليهم من ربهم .

ورضي الله تبارك وتعالى على أصحابه وآل بيته الكرام البررة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد :

فإن الكتابة في التفسير الموضوعي سواء منها ماكان حول موضوع في القرآن كله أو في موضوع من خلال سورة معينة سمة برزت في العصر الحديث خدمة لكتاب الله تعالى وإيضاحاً لهداياته وكشفاً عن بعض أسراره ، وبذل جهد مكثف لتتبع هذه الهدايات والأسرار من خلال اللفتات التي ترد في ثنايا مقاطع السورة .

وكنت كتبت في الكتاب الأول من هذه السلسلة (مباحث في التفسير الموضوعي) عن المنهج الذي ينبغي أن يسلك في مثل هذا النوع من التفسير .

وهذا هو الكتاب الثاني في السلسلة بعنوان تربية الأسرة المسلمة من خلال (سورة التحريم) .

وكان لاختيار هذه السورة عدة أسباب منها :

١ ـ تعرضت في الكتاب الأول من هذه السلسلة إلى تفسير سورة الكهف (القيم في ضوء سورة الكهف) وسقته نموذجاً تطبيقياً لهذا النوع ،

التجديد والتطوير NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وهي سورة مكية ، فأحببت أن أختار سورة مدنية للتنويع في الأمثلة التطبيقية ، وسأحاول في المستقبل إن شاء الله تعالى أن أسوق نموذجاً في كل مجال من مجالات الحياة ، وبخاصة في السور المدنية لأن مجالاتها أوسع وأشمل .

٢ ــ أن المحور الذي تدور عليه سورة التحريم محور جلي واضح ، ومثل هذا الوضوح في الرؤية عند التعرض لتفسير سورة ما تفسيراً موضوعياً يُعين على تأصيل هذه الدراسات وبخاصة أن الدراسات المنهجية للتفسير الموضوعي لا زالت في بداياتها ، والكتب المؤلفة فيها لاتتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة .

٣ ــ إن السورة تتناول جانباً دقيقاً وهاماً في حياة كل أسرة مؤمنة ، فأي إنسان منا لم يحدث بينه وبين زوجه ما يكدر حياة الزوجية ، وأي أسرة خلت من مواقف أحرج معها الزوج تجاه زوجه ، وأي أسرة خلت من حادثة استكتم فيها رب الأسرة زوجه خبراً يسعدها أو يسعده ويرى أن من السابق لأوانه نشره ففوجيء بأن الزوج وهي مكمن سره ومبث مشاعره ومستودع أخباره ، قد أفشت سره في لحظة تبجح مع جارتها أو في جلسة ثرثرة مع صديقتها ، وانتشر الخبر وكل واحدة تزيد عليه طرفاً حتى عم البلد وسبب الإحراج للمسكين أو فوّت عليه فرصاً ثمينة لا تعوض أو ألحق به أضراراً لاتحتمل . وأي رب أسرة يغفل عن مسئوليته العظيمة تجاه من يرعاهم (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالأب راع ومسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها ...) .

وكل مسلم يرغب في معرفة طريقة التوبة وشروطها ليظفر بمعيته رسول الله ﷺ يوم لايخزيهم الله جميعاً حيث يظفرون بالنور التام يوم القيامة ...

كل ذلك كان يدفعني لتناول هذه السورة بالتفسير على منهج التفسير الموضوعي ، ومع هذه الرغبة الشديدة كنت أتهيب الكتابة فيها للأسباب التالية :

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أ ـ إنها تتناول جوانب دقيقة من حياة سيد البشر رسول الله ﷺ : اجتهاده ، عتاب ربه له ، دواعي هذا العتاب وآثاره ...

وكل ذلك من المباحث الدقيقة التي يخشى فيها من انزلاق القلم ، وزلة القلم أعظم من زلة القدم .

ب ـ كما أن الموضوع يتناول جانباً آخر من الحياة الخاصة لرسول الله ﷺ وهو الجانب المتعلق بأمهات المؤمنين الطيبات الطاهرات اللاتي ارتضاهن رب السماوات والأرض قرينات رسوله الكريم .

وأي إساءة أدب في التعبير يؤدي إلى الهلاك والخسران المبين . لذا كنت أحتار كثيراً في اختيار الكلمة التي تؤدي الغرض ولا تفتح باب الاحتمالات لسوء الأدب في حق أمهات المؤمنين .

جـ ـ ودراسة الجوانب التربوية في القرآن الكريم وهو كتاب الهداية والتربية تحتاج إلى شفافية خاصة تجاه النصوص الكريمة ليستنبط منها اللطائف والرقائق والدقائق التي تلوح خلف الكلمات والألفاظ وهذا ما أفتقده .

د ـ يضاف إلى كل ذلك كثرة المشاغل وقلة البضاعة وعجمة اللسان كان يحول بين إيفاء الموضوع حقه ، وعرضه بالصيغة البيانية الزاهية التي تحتاجها مثل هذه الموضوعات .

ومع ذلك فقد اجتهدت فما كان من الصواب فبتوفيق من الله تعالى ومنة منه . وما كان غير ذلك فمن نفسي ومن الشيطان . والله أسأل العفو وأرجو القارئ تنبيهي على ذلك وله من الله الأجر والمثوبة ومني الدعاء .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وكتبه

مصطفى مسلم

الرياض ١ / ٧ / ١٤١١ هـ

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بين يدي سورة التحريم

١ ـ أسماؤها :

تسمى سورة التحريم .

وتسمى سورة النبي ﷺ [١] .

وتسمى سورة (لم تحرم) .

وتسمى سورة (اللِّمَ تُحرِّم) بتشديد اللام [٢] .

والتسميتان الأخيرتان من قبيل تسمية السورة بأول كلمة بها ، ولا يشترط في ذلك ورود نص أو أثر بهذه التسمية عن الصحابة أو التابعين .

٢ ـ عدد آياتها :

عدد آيات سورة التحريم اثنتا عشرة آية إجماعاً .

عدد كلماتها مائتان وسبع وأربعون كلمة ، وحروفها ألف ومائة وستون حرفاً كحروف سورة الطلاق [٣] .

٣ ـ المرحلة الدعوية التي نزلت سورة التحريم فيها :

سورة التحريم من السور التي نزلت في مرحلة متأخرة من المرحلة المدنية فقد ورد في بعض الروايات في أسباب النزول ذكر أسماء لأمهات المؤمنين ، ولم يكن رسول الله ﷺ بنى بهن إلا في مرحلة متأخرة كزينب بنت جحش وصفية بنت حيي وجاريته مارية القبطية .

---

(١) نظم الدرر (جـ ٢٠ ص ١٧٩) وتفسير القرطبي (جـ ١٨ ص ١٧٧) .

(٢) منار الهدى للأشموني (ص ٢٨٤) .

(٣) انظر الإتقان في علوم القرآن (جـ ١ ص ٥٥) ، وتفسير التحرير والتنوير (جـ ٢٨ ص ٣٤٣) .

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كما أن الإشارة التي وردت في كلام عمر بشأن استعداد غسّان لغزو المسلمين يدل على هذه المرحلة المتأخرة ، فاحتكاك المسلمين بأطراف الجزيرة العربية وملوكها لم يكن إلا في السنة التاسعة للهجرة وما بعدها .

وفي هذه المرحلة كانت آيات الذكر الحكيم تنزل بشأن بناء المجتمع الإسلامي البناء القوي المحكم ففي هذه المرحلة نزلت سورة الجمعة والحجرات والتوبة والطلاق والتحريم وغيرها .

ولقد أشار بعض المفسرين إلى جانب نفسي في أحداث سبب النزول لهذه السورة يتعلق بأمهات المؤمنين ، وأرى وجاهة هذا الجانب النفسي في القضية :

ذلك أن أمهات المؤمنين عشن عيشة الكفاف مع رسول الله ﷺ حيث كان يمر الشهر والشهران ولا يوقد في بيت رسول الله ﷺ نار للطبخ ، وما كان عيشهم سوى الأسودين الماء والتمر ، ولم يشبعوا من خبز بر يومين متتاليين ، فلما انتشر الإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، وفتحت مكة واطمأن الناس في جزيرة العرب على مصالحهم التجارية والزراعية ، وأقبلت الوفود على عاصمة الدولة الإسلامية يعلنون الطاعة والولاء وفرضت الزكاة على الولايات الإسلامية وحملت الأموال إلى المدينة المنورة ووزعها رسول الله ﷺ على القاصي والداني وخص بكثير منها المؤلفة قلوبهم ، كل ذلك أوجد في نفس بعض المقرّبين من رسول الله ﷺ ، الذين أوكلهم رسول الله ﷺ إلى رصيدهم الإيماني فلم ينلهم العطاء أوجد لديهم تطلعاً إلى أن ينالهم شيء من هذا العطاء ، وأن يحصلوا على بعض أسباب المعيشة التي تبدل شيئاً من الشظف الذي كانوا عليه . ومن هؤلاء أمهات المؤمنين حيث جئن وجلسن حول رسول الله ﷺ وبدأن يطالبنه بالنفقة [1]، ولكن رسول الله ﷺ الذي التزم منهجاً في الحياة

(١) ستأتي الرواية مفصلة في أسباب النزول .

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

هو ارتضاه لنفسه سواء قل المال بين يديه أو كثر لم يكن ليطمئن إلى متاع الدنيا ولذائذها وإنما ادخر اللذة والمتعة إلى يوم فيه الحياة الحقيقية والمتعة التي لا تنتهي ، آثر ذلك على متع الدنيا العاجلة ، وهو بذلك يختط للأمة ـ وهو قدوتها ـ المنهج الأمثل في هذه الحياة العاجلة الزائلة . فلما وجد إصرارهن على أن يأخذن حظهن من الدنيا مع حوادث جزئية أخرى خاصة تقدمت على هذه المطالبة الجماعية بالانفاق والتوسع في المعيشة . كان الأمر الحاسم ، وقطع دابر هذه المحاولات التي كانت تؤثر على مشاعر رسول الله ﷺ وخاصة وهي تثار داخل بيته ومن أهله وزوجاته اللاتي يفترض فيهن أن يجد منهن رسول الله ﷺ المواساة مما يعانيه في دعوته من أعداء الإسلام الخارجين والمنافقين في صفوف المسلمين .

أما أن يجد رسول الله ﷺ داخل منزله مايدعو إلى تغيير منهجه في الحياة وأسلوبه في زهده وطريقة إنفاقه على أهل بيته .

فهذا الذي لم يرضه رب السماوات والأرض لرسوله فأنزل آية التخيير لتضع أصحاب القضية بين خيارين لا ثالث لهما :

﴿ يأيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً * وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً ﴾ [الأحزاب ٢٨ ، ٢٩] .

ونزلت سورة التحريم لتتناول جانباً آخر من القضية ، وهي قضية غيرة النساء وحيلهن لكسب قلب الزوج وحرمان ضرائرهن من عطفه وشفقته وحبه واستئثارهن به . وهو جانب آخر ـ وإن بدا لأول وهلة أنه أمر لايستحق هذا الاهتمام ـ ذو خطورة لأنه يتعلق ببيت النبوة ونمط المعيشة فيه وكيفية إنشاء العلائق المنزلية بين أفراد الأسرة ومن هذا البيت يستمد التشريع للأمة وهو البيت النموذج والمثل الإنساني الكامل .

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٤ ـ أسباب نزولها :

أ ـ روى البخاري في صحيحه ـ في عدة مواضع منها في كتاب التفسير ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان النبي ﷺ يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش ويمكث عندها ، فتواطأت أنا وحفصة على أيتنا دخل عليها فلتقل له : أكلت مغافير ؟ إني أجد منك ريح مغافير [١]، قال : ولكني كنت أشرب عسلاً عند زينب بنت جحش فلن أعود له ، وقد حلفت لاتخبري بذلك أحداً ، فنزلت ﴿ **ياأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك** ﴾ ـ إلى قوله تعالى ـ ﴿ **إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما** ﴾ [٢] .

ب ـ روى الإمام عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره عن معمر عن هشام بن عروة عن أبيه قال : كان النبي ﷺ إذا صلى الصبح دخل على أزواجه امرأة امرأة فسلّم عليهن ، وكانت حفصة قد أهدي لها عسل ، وكان النبي ﷺ إذا دخل عليها خاضت [٣] له من ذلك العسل فسقته منه فيجلس عندها ، فغارت عائشة فجمعتهن فقالت لأزواج النبي ﷺ امرأة امرأة : إذا دخل عليكن فقولي : ما هذه الريح التي أجدها منك يارسول الله ؟ أكلت مغافير ؟ فإنه

---

(١) مغافير : بغين معجمة ، وفاء بعدها ياء وراء ، جمع مغفور بالضم كعصفور ، أي صمغاً حلواً له رائحة كريهة ، ينضحه شجر يقال له العرفط ، بضم العين المهملة والفاء ، يكون بالحجاز له رائحة كرائحة الخمر . انظر النهاية لابن الأثير (٣٧٤/٤) ، والفتوحات الإلهية الشهير بالجمل على الجلالين (٣٦٣/٤) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب التفسير (٦٨/٦) .

(٣) معنى خاضت : خلطته بالماء وحركته .

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

سيقول : سقتني حفصة عسلاً ، فقولي : جرست [1] نحله العرفط ، قال : فدخل على سودة ، قالت : فأردت أن أقول له قبل أن يدخل فرقاً من عائشة ، قالت : فلما دخل قلت : ما هذه الريح التي أجد منك يارسول الله ؟ أكلت مغافير ؟ قال : لا ، ولكن حفصة سقتني عسلاً فقالت : جرست نحله العرفط ، ثم دخل عليهن امرأة امرأة وهن يقلن له ذلك ثم دخل على عائشة فقالت له أيضاً ذلك ، فلما كان الغد دخل على حفصة فسقته فأبى أن يشرب وحرمه عليه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **ياأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم** ﴾ [2] .

جـ ـ روى ابن جرير بسنده إلى ابن عباس قال : قلت لعمر بن الخطاب : من المرأتان ؟ قال عائشة وحفصة ، وكان بدء الحديث في شأن أم إبراهيم القبطية ، أصابها النبي ﷺ في بيت حفصة في نوبتها فوجدت حفصة فقالت يانبي الله لقد جئت إليّ شيئاً ما جئت إلى أحد من أزواجك ، في يومي وفي دَوْري وعلى فراشي ؟! قال : ألا ترضين أن أحرمها فلا أقربها ، قالت : بلى ، فحرمها ، وقال لها : لا تذكري ذلك لأحد ، فذكرته لعائشة فأظهره الله عليه فأنزل الله تعالى : ﴿ **ياأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك ..** ﴾ الآيات كلها ، فبلغنا أن رسول الله ﷺ كفرّ عن يمينه وأصاب جاريته [3] .

لقد وقف المفسرون تجاه هذه الروايات مواقف متباينة ، فمنهم من رجّح بعضها على غيرها ومنهم من حاول الجمع بينها في الجوانب التي يمكن الجَمع ، ومالا يمكن الجمع ردوه وخطأوا القائلين بها .

---

(١) معنى جرست : أكلت ورعت من الشجر .

(٢) انظر الرواية في تفسير عبد الرزاق الصنعاني (٣٠٢/٢) بتحقيقنا ، نشر مكتبة الرشد .

(٣) انظر الرواية في تفسير ابن جرير الطبري (١٠٠/٢٨) .

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يقول الإمام القرطبي بعد سوق الروايات المتعددة :

« .. وإنما الصحيح أنه كان في العسل وأنه شربه عند زينب ، وتظاهرت عليه عائشة وحفصة فيه ، فجرى ماجرى فحلف ألا يشربه وأسر ذلك ونزلت الآية في الجميع »[1] .

وقال ابن كثير : « .. كما أن الصحيح في سبب نزول الآية أنها في قصة العسل لا في قصة مارية المروي في غير الصحيحين ، ولم تأت قصة مارية من طريق صحيح »[2] .

ويقول ابن حجر العسقلاني في شرحه على صحيح البخاري : « فيحتمل أن تكون الآية نزلت في السببين معاً »[3] .

ويقول الشوكاني في تفسير فتح القدير : « فهذان سببان صحيحان لنزول الآية ، والجمع ممكن بوقوع القصتين : قصة العسل ، وقصة مارية ، وأن القرآن نزل فيهما جميعاً وفي كل واحد منهما أنه أسر الحديث إلى بعض أزواجه »[4] .

ولعل الجمع بين الروايات أولى من رد إحدى الروايتين ، فليس هناك تعارض بين أحداث الروايات إلا في تعيين التي كان يشرب رسول الله ﷺ عندها العسل ، فقد ورد في بعض الروايات أنها زينب بنت جحش وفي بعضها حفصة وفي بعضها أم سلمة . ونحن نرجح في ذلك ماورد في الصحيحين وأنها زينب بنت جحش ، والمتظاهرتان هما عائشة وحفصة رضي الله عنهن جميعاً . وستأتي بقية الروايات في المباحث اللاحقة[5] .

---

(١) انظر تفسير القرطبي (١٧٩/١٨) .

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٣٨٦/٤) .

(٣) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري (٥٣٣/٨) .

(٤) انظر تفسير فتح القدير للشوكاني (٢٥٢/٥) .

(٥) وانظرها أيضاً في زاد المسير لابن الجوزي (٣٠٢/٨) وما بعدها .

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٥ ـ المناسبات في سورة التحريم :

أ ـ المناسبات بين سورة التحريم وسورة الطلاق :

المناسبات بين السورتين واضحة تماماً فمحور كل سورة منهما يتناول المشاكل الزوجية بل مشكلة الطلاق وما يترتب عليها .

يقول الإمام الفخر الرازي : أما التعلق بما قبلها ، فذلك لاشتراكهما في الأحكام المخصوصة بالنساء ، واشتراك الخطاب بالطلاق في أول تلك السورة مع الخطاب بالتحريم في أول هذه السورة ، لما كان الطلاق في الأكثر من الصور أو في الكل كما هو مذهب البعض مشتملاً على تحريم ما أحل الله [١] .

ويربط البقاعي بين آخر سورة الطلاق حيث ختمت ببيان علم الله المحيط بما في السماوات والأرض جليلها ودقيقها حيث قال جل جلاله ﴿ **الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً** ﴾ [الطلاق : ١٢] .

وذكر في افتتاحية التحريم علم الله المحيط بحادثة خاصة جرت بين رسول الله ﷺ وبين بعض أزواجه وإحاطته بالسر الذي أودعه رسول الله ﷺ بعض أزواجه ، وإحاطته كذلك بإفشائها لسر رسول الله ﷺ ، حيث ورد ذلك في قوله تعالى : ﴿ **وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرّف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير** ﴾ .

يشير إلى ذلك البقاعي بإيجاز فيقول : « لما ختم سبحانه وتعالى الطلاق

---

(١) انظر التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) للرازي (٣٠/٤١) .

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بإحاطة علمه ، وتنزل أمره بين الخافقين في تدبيره ، دل عليه أول هذه بإعلاء أمور الخلق بأمر وقع بين خير خلقه وبين نسائه اللاتي من خير النساء .. »[1] .

ويقول الإمام أبو جعفر ابن الزبير : « لا خفاء بشدة اتصال هذه السورة بسورة الطلاق لاتحاد مرماهما وتقارب معناهما ، وقد ظن أن رسول الله ﷺ طلق نساءه حين اعتزل في المشربة ، حتى سأله عمر رضي الله عنه والقصة معروفة ، وتخييره ﷺ إياهن إثر ذلك وبعد اعتزالهن شهراً كاملاً ، وعتب الله عليهن في قوله :﴿ **وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه** ﴾ وقوله ﴿ **عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن** ﴾ الآية ، فهذه السورة وسورة الطلاق أقرب شيء وأشبه بسورة الأنفال وبراءة لتقارب المعاني والتحام المقاصد »[2] .

وأخيراً نقول في المناسبات بين السورتين أن سورة الطلاق اشتملت على أحكام المطلقات إيقاعاً وعدة ونفقة وسكنى وإرضاعاً ، وفي تهديد المتظاهرتين ومن ورائهن أمهات المؤمنين الأخريات بالطلاق تذكير بالمشكلات التي تنتظرهن إن وقع عليهن الطلاق ، وفي ذلك الإيماء تربية بالإيحاء ، ومن أقسى الأمور على نفس المرأة تهديدها بالطلاق وتذكيرها بما يترتب عليه من تشريد وهدم لعش الزوجية الذي بذلت فيه جهدها لتجعل منه بيتاً ملؤه السعادة والطمأنينة والدفء والحنان .

ب ـ المناسبة بين افتتاحية سورة التحريم وخاتمتها :

افتتحت سورة التحريم بأمرين اثنين واختتمت بإشارتين تتعلقان بنفس الأمرين .

---

(١) انظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (١٧٩/٢٠) .

(٢) انظر المرجع السابق (١٨٤/٢٠) .

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الأمر الأول في الافتتاحية :

عتاب رسول الله ﷺ على امتناعه عن المباح وتحريم نفسه منه بغية مرضاة أزواجه ، وهذا منتهى التلطف مع الزوجات والسعي لإسعادهن ولو بهضم شيء من حق النفس .

فجاء في خاتمة السورة ذكر امرأتين ثيّبة وبكر هما : آسية امرأة فرعون التي آثرت ما عند الله على ما كانت عليه من الملذات الدنيوية في كنف فرعون ، واختارت جوار الله جل جلاله على جوار فرعون .

ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فكانت وابنها آية للناس حيث ولدته من غير أب وهما من زوجات رسول الله ﷺ في الجنة ، أخرج الطبراني عن سعد بن جنادة قال قال رسول الله ﷺ : « إن الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران وامرأة فرعون وأخت موسى عليه السلام » (١) .

وفي ذلك الإشارة إلى ما ينبغي أن تتصف به زوجات أكمل الناس خلقاً ، فهن القدوة لنساء المؤمنين ، وكذلك إيماء إلى البدل الذي جاء في قوله تعالى : ﴿ أن يبدله أزواجاً خيراً منكن ﴾ وقد ورد في الصحيح عن رسول الله ﷺ : « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، ومريم ابنة عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » (٢) .

يقول البقاعي : وقد أتم سبحانه الأمثال في الآداب بالثيّبات والأبكار الأخيار والأشرار فانعطف آخر السورة على أولها في المعاني بالآداب ، وزاد

---

(١) انظر تفسير روح المعاني للألوسي (١٠/١٦٥) ط دار الفكر .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الأطعمة وفيه الاقتصار على آسية ومريم (٩/٥٥١) طبعة المطبعة السلفية وصحيح مسلم فضائل الصحابة (٤/١٨٨٦) ، طبعة دار إحياء التراث العربي .

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ذلك حسناً كونها في النساء في الذوات والأعيان بزواج النبي ﷺ لآسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران في الجنة دار القرار السالمة عن الأكدار ، الزواج الأبدي ، فصار أول السورة وآخرها في أزواجه ﷺ ، وفي ختامها بالقنوت الذي هو خلاصة الأوصاف الماضية في الأبدال المذكورات أعظم مناسبة والله الهادي » [1] .

الأمر الثاني في افتتاحية السورة :

التهديد والوعيد للمتظاهرتين اللتين تسببتا في التحريم ، وأفشتا سر رسول الله ﷺ ، وقد استكتم إحداهما الخبر وأمرها أن لا تبوح به لأحد ، فبثت الحديث للأخرى ، وإباحة سر الزوجية شيء لاينبغي أن يحدث في بيوت عامة المسلمين ، فكيف به إن حدث في بيت رسول الله ﷺ قدوة الأمة . ولخطورة الأمر جاء التمثيل في خاتمة السورة بذكر زوجتين كانتا تحت نبيين من الأنبياء فعندما خالفتا مبادئ شرائعهما ولم تلتزما بأحكام دينهما ﴿ **قيل ادخلا النار مع الداخلين** ﴾ وفي ذلك إشارة وتعريض بأمهات المؤمنين عامة وبالمتظاهرتين خاصة إن بدرت منهما ما يخالف شرائع الإسلام التي جاء بها النبي ﷺ .

يقول الفخر الرازي : « وفي ضمن هذين التمثيلين تعريض بأمي المؤمنين ، وهما حفصة وعائشة لما فرط منهما وتحذير لهما على أغلظ وجه وأشده لما في التمثيل من ذكر الكفر » [2] .

ونقل صديق حسن خان عن يحيى بن سلام قوله : « ضرب الله مثلاً للذين كفروا يحذر به عائشة وحفصة من المخالفة لرسول الله ﷺ حين تظاهرتا عليه » ويعقب صديق خان على قول يحيى بن سلام « وما أحسن ما قال فإن

---

(١) انظر نظم الدرر للبقاعي (٢١٥/٢٠) .

(٢) انظر التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) للرازي (٤٩/٣٠) .

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ذكر امرأتي النبيين بعد ذكر قصتهما ومظاهرتهما على رسول الله ﷺ يرشد أتم إرشاد ويلوح أبلغ تلويح إلى أن المراد تخويفهما مع سائر أمهات المؤمنين ، وبيان أنهما وإن كانتا تحت عصمة خير خلق الله وخاتم رسله فإن ذلك لايغني عنهما من الله شيئاً ، وقد عصمهما الله سبحانه من ذنب تلك المظاهرة بما وقع منهما من التوبة الصحيحة الخالصة » [1] .

٦ ـ محور سورة التحريم والمناسبة بينه وبين المقاطع :

تدور سورة التحريم حول محور واحد وهو حادث تحريم رسول الله ﷺ على نفسه شيئاً مباحاً بمعنى الامتناع منه ، وإسراره حديثاً إلى بعض أزواجه وإخبارها به حيث افتتحت السورة بعتاب رسول الله ﷺ على هذا التحريم سعياً لإرضاء زوجاته ، وينبغي الأمر أن يكون بالعكس حيث تسعى الزوجات وغيرهن من الخلائق لكسب رضى رسول الله ﷺ .

ثم تنتقل الآيات إلى توجيه الوعيد والتهديد إلى المتظاهرتين إن استمرتا على ما كانتا عليه ، كما تفتح باب التوبة لهما .

ومن خلال هذا الوعيد للمتظاهرتين يوجه الخطاب إلى المؤمنين عامة لينقذوا أنفسهم وأهليهم من النيران الرهيبة وذلك بحملهم على طاعة الله ورسوله واجتناب النواهي ، كما تبرز الآيات الكريمة أهمية المبادرة إلى هذه التوبة النصوح قبل فوات الأوان بالموت أو قيام الساعة .

ويفتح باب الرجاء والأمل للتائبين وما يكونون عليه من النور التام ﴿ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم

---

(١) انظر حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة (١٠٤) مطبعة الإمام .

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم ﴾ [الحديد : ١٢] .

ولعلها من الإشارات الموحية النص على معية رسول الله في هذا الموطن ﴿ يوم لايخزي الله النبي والذين آمنوامعه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ﴾ .

والتوجيهات الربانية تكون بين الرجاء والخوف والترغيب والترهيب ، لذا يأتي الأمر لرسول الله ﷺ أن يتخذ موقف الغلظة والتشديد من الكفار والمنافقين الذين يتخذون من الأحداث الخاصة ببيت رسول الله ﷺ فيضخمون من شأنها ويتخذونها ذريعة للطعن والإفساد في شرائع الإسلام .

وتأتي خاتمة السورة عوداً على بدء في سوق الأمثال والتحذير من مصير الخائنات لعقائد الأزواج الصالحين ، والحث على التأسي بالنساء الصالحات الثيبات والأبكار .

إن محور السورة يدور على ضرورة حماية الأسرة من الانحراف والانجراف في أمور قد تكون بداياتها صغيرة لا تعطى أهمية ولكنها عظيمة الآثار في حياة الأسرة ، ومن خلال حادثة التظاهر والتحريم تأتي التوجيهات الربانية إلى الأمة الإسلامية في تربية الأسرة . وهذا الأمر الذي يدور حوله محور السورة أو يشكل محور السورة من دقائق الأمور التي تؤثر على حياة الزوجية .

واهتمام القرآن الكريم باستقامة الأسرة وقيامها على منهج الله تعالى نابع من اهتمامه بسلامة المجتمع الإسلامي ، فقوة المجتمع الإسلامي وسلامته وصلابته تجاه الأحداث الداخلية والأعاصير الخارجية مستمدة من قوة اللبنات التي يتكون منها المجتمع ، وهذه اللبنة هي الأسرة الإسلامية التي تناولها القرآن الكريم بالرعاية والعناية من يوم نشوئها ورافق تكوينها وما يعتريها من أعراض إلى انتهائها بالفراق أو الموت لأفرادها .

التجديد والتطوير NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المقطع الأول

عتاب ومغفرة

- الأساليب القرآنية في عتاب رسول الله ﷺ.
- دروس وعبر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سُورَةُ التَّحْرِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ۚ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ۚ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ ۖ
وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الأساليب القرآنية في عتاب الرسول ﷺ

يستعمل القرآن الكريم ألطف الألفاظ وأرقها في معاتبات رسول الله ﷺ وفيما يلي جملة من الأساليب الرقيقة التي استخدمت في معاتبات رسول الله ﷺ فمن ذلك :

أ ـ في عتابه بشأن حادثة عبدالله بن أم مكتوم ، جاء العتاب في سياق الغيبة لتخفيف وطأة المعاتبة على نفسه ، كما أن في توجيه العتاب المباشر مواجهة تجريح وإزالة لحاجب التقدير والتكريم ، والتدرج من الغيبة إلى الخطاب تهيئة للنفس لاستقبال الموقف .. ولإيهام أن من صدر عنه ذلك غيره لأنه لايصدر عنه ﷺ مثله [1] .

يقول تعالى : ﴿ عبس وتولى أن جاءه الأعمى * وما يدريك لعله يزكى * أو يذكر فتنفعه الذكرى * أما من استغنى * فأنت له تصدى * وما عليك ألا يزكى * وأما من جاءك يسعى * وهو يخشى * فأنت عنه تلهى * كلا إنها تذكرة * فمن شاء ذكره * في صحف مكرمة * مرفوعة مطهرة * بأيدي سفره * كرام برره ﴾ [عبس : ١ ـ ١٦] .

ب ـ وكذلك في عتابه بشأن أخذ الفداء من أسرى بدر ، جاء العتاب بصيغة الغيبة أولاً ، وبذكر إباحة ذلك لهم مباشرة ثانياً ، ولم يكتف النص على الإباحة بالأكل من الغنيمة بل وصفه بالحلال الطيب وختم الآية بالنص على المغفرة والرحمة لئلا يبقى أثر لتحرج النفس وفي كل ذلك تخفيف من وطأة العتاب وشدته على نفس رسول الله ﷺ ، يقول تعالى : ﴿ ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله

---

(١) روح المعاني للآلوسي (٣٠/٣٩) .

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عزيز حكيم ۞ لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ۞ فكلوا مما غنتم حلالاً طيباً واتقوا الله إن الله غفور رحيم ﴾ .

[الأنفال : ٦٧ ـ ٦٩] .

جـ ـ وفي معاتبته بعد الإذن للمنافقين بالتخلف يوم العسرة ، قدّم لفظ العفو قبل ذكر العتاب تكريماً لرسول الله ﷺ يقول جل شأنه : ﴿ عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ﴾ [التوبة : ٤٣] .

د ـ وجاء تنبيه رسول الله ﷺ على تركه ذكر المشيئة ﴿ إن شاء الله ﴾ في سورة الكهف بعد أن أجاب عن الأسئلة الموجهة إليه والتي كانت مجال الإرجاء فعندما سألته قريش بتحريض من اليهود أن يخبرهم عن فتية ذهبوا في الدهر الأول وكان من أمرهم عجب وأن يخبرهم عن رجل طواف في الأفاق وكان من أمره عجب ... قال لهم إيتوني غداً وسأخبركم بذلك ولم يستثن فلبث الوحي بضعة عشر يوماً حتى أرجف أهل مكة ....

فلم يعاتبه بترك المشيئة أو تذكيره بها إلا بعد الإجابة عن قصة أهل الكهف وفي نهايتها ذكرّه بها بقوله تعالى : ﴿ ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشداً ﴾ [الكهف : ٢٣ ـ ٢٤] .

وهذا منتهى التلطف والتكريم والتنبيه على أمر ينبغي أن يكون الأمر عليه ، ولو نبهه أولاً ثم أجاب على الاستفسارات لتوهم الإعراض عنه ، ولربما لم يزل أثره بفرح الحصول على الإجابة ، وفي ذلك إلحاق غم وكمد بقلب رسول الله ﷺ . أما إذا جاء الجواب أولاً وتمت الفرحة والبشارة بالحصول على الجواب ، وأثناء الابتهاج سيق التنبيه بأسلوب لطيف لم يترك العتاب والتنبيه أثراً يذكر .

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

هـ ـ وفي هذه السورة جاء العتاب لطيفاً رقيقاً في غاية الترفق فقد افتتح العتاب بندائه بوصف النبوة ، وفيه من التشريف والتكريم والتطمين على أن مايذكر بعد لا يؤثر على مقامه العالي فهو النبي المكرم .

ولو بدأه بالعتاب فقال ﴿ لم تحرم ﴾ ، لفرق قلبه عليه الصلاة والسلام ولترك أثراً كبيراً ولو جاء الترفق بعد ذلك ، وهذا أسلوب الحبيب الذي لا يريد إلحاق أي هزة عاطفية في قلب حبيبه مهما كانت الهزة مغلفة بالأساليب الرفيقة الرقيقة .

ثم يأتي العتاب في صيغة سؤال تلطف ﴿ **لم تحرم ما أحل الله لك** ﴾ ومن الأمور المخففة لآثار العتاب ذكر السبب الدافع لرسول الله ﷺ إلى هذا التحريم ﴿ **تبتغي مرضاة أزواجك** ﴾ ، وبيان أن هذا السبب غير معتبر في الامتناع والتحريم فالغيرة ليست مما يجب مراعاته بين الأزواج إذ لم يكن هضم لحقوقهن ، فهناك من الأشياء الدافعة للغيرة ينبغي أن لا يؤبه لها . وعذر النبي ﷺ في فعله هو جلب رضى الأزواج ، وهذا من حسن معاشرته عليه الصلاة والسلام معهن ، لكن الغيرة التي نشأت بينهن إنما هي معاكسة بعضهن بعضاً ، وهذا مما يخل بحسن العشرة بينهن ، فأخبره الله أن اجتهاده هذا غير معتبر وعاتبه على ذلك .

ثم أزال آثار هذا العتاب عن نفس رسول الله ﷺ بتذييل الآية بذكر المغفرة والرحمة فعتاب الله لرسوله دليل على مزيد العناية والاهتمام به ، والله ساتر لما أوجب المعاتبة رحيم يدفع المؤاخذة . ثم أصبح الحكم عاماً فيمن حلف ، فرض الله له تحلة اليمين ، وتحلة اليمين ذكرت بالتفصيل في سورة المائدة : ﴿ **لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقّدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة**

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم﴾ [المائدة : ٨٩] .

ففي كل ذلك إزالة لآثار ما قد يعلق في النفس من كدورة بسبب العتاب . ولله في كتابه أسرار وعبر .

و ــ وهناك نوع آخر من العتاب الشديد الموجه إلى رسول الله ﷺ مباشرة ويختلف في الأسلوب عن الألوان السابقة في العتاب وذاك في قوله تعالى : ﴿ وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً ۞ ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً ۞ الذين يبلّغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيباً ﴾ [الأحزاب : ٣٧ ــ ٣٩] .

هذا الأسلوب في العتاب يختلف في الشدة والعنف عن الأساليب السابقة ، وذلك لأنه يتعلق بأمر تبليغ أحكام الله ﴿ وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ﴾ .

ولذلك تقول السيدة عائشة رضي الله عنها : « لو كتم محمد ﷺ شيئاً مما أوحي إليه من كتاب الله شيئاً لكتم ﴿ وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ﴾ (١) .

ونظراً لخطورة قضية التبليغ وما يتعلق بها فقد أعقبت الآية الشديدة بآية أخرى فيها تعليل ودفاع عن موقف رسول الله ﷺ من إخفاء قضية زواجه

---

(١) انظر الحديث في مسند الإمام أحمد (٣/١٩٥) .

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بزينب بعد طلاق زيد لها ، فإنه كان مأموراً من الله تعالى بأن يزوّج زينب من زيد بن حارثة ، وقد أعلمه الله أنه سيتم الطلاق وستكون زينب زوجاً له ﷺ وذلك قبل اقتران زيد بها . وذلك لإبطال عادة التبنّي التي ماكانت لتنتهي بسهولة من المجتمع لولا هذه الهزة العنيفة بتطبيقها عملياً في حياة رسول الله ﷺ .

فجاء قوله تعالى : ﴿ **ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً** ﴾ .

فالرسول في ذلك يطبق أمر الله ، وسنة الله في الأنبياء والمرسلين أن يكونوا أول من يلتزم بشرائع الله وأحكامه ويطبقونها على أنفسهم وعلى من تحت ولايتهم ، كما تأتي الآية اللاحقة لتبين دور الرسل وأنه الالتزام والتبليغ ﴿ **الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولايخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيباً** ﴾ .

وهو في نفس الوقت تبرير وتوضيح وتعليل فيكون بتقديم الآية التي نصت على قضاء الله سبحانه وتعالى وقضاء رسوله الذي ينفي الخيرة للمؤمنين والمؤمنات وتعقيب الآيات المبينة لسنة الله في الرسالات وبيان مهمتهم في التبليغ ، يكون في كل ذلك تبرير وتعليل لما فعله رسول الله ﷺ من إخفاء الأمر في نفسه وخشية الناس وكلامهم أن يقولوا إن محمداً تزوج بزوج متبناه .

ومع كل ذلك فإن آثار هذا العتاب كان بادياً على تصرف رسول الله ﷺ وتطبيقه لأمر الله سبحانه وتعالى فما أن طرق سمعه قوله تعالى : ﴿ .. **فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً** ﴾ حتى سارع إلى الزواج بزينب ولم ينتظر جوابها .

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

روى الإمام أحمد ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال : « لما انقضت عدة زينب رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة (اذهب فاذكرها علي) فانطلق حتى أتاها وهي تخمر عجينها قال : فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها وأقول إن رسول الله ﷺ ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي وقلت : يازينب أبشري أرسلني رسول الله ﷺ يذكرك ، قالت ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامر ربي عز وجل فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن » [1] الحديث .

يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿ فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها ﴾ وكان الذي تولى تزويجها منه هو الله عز وجل بمعنى أنه أوحى إليه أن يدخل عليها بلا ولي ولا عقد ولا مهر ولا شهود من البشر [2] .

إن الأساليب القرآنية في بيان الهدايات والتشريعات تتنوع حسب مقتضيات المواقف وإحداث الأثر في نفوس المخاطبين وهذا التنوع جزء من الإعجاز البياني للقرآن الكريم .

---

(١) انظر صحيح مسلم كتاب النكاح (١٤٨/٤) .

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٤٩١/٣) .

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

دروس وعبر

من الدروس المستفادة من إقدام رسول الله على الامتناع عن شرب العسل وقسمه على ذلك الذي سماه الله سبحانه وتعالى ﴿ تحريما ﴾ أن رسول الله ﷺ كان شفيقاً رؤفاً رحيماً بكل الناس وبخاصة بأهل بيته وكان يحرص على سعادتهم وتطييب خواطرهم بكل الوسائل ما لم يكن هناك محظور شرعي ولما كانت القضية هنا تتعلق بأمر خاص برسول الله وميله إلى نوع من الشراب والامتناع منه لا يلحق ضرراً بأحد ، فكان أن أقدم على هذا التحريم (الامتناع) تطييباً لما لحق نفوس بعض أزواجه من الغيرة .

إلا أن الموازين الربانية في غاية الدقة والحساسية وخاصة في أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وذلك للأسباب التالية :

أ ـ إن أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وتقريراته تشريع للأمة فلو ترك هذا الأمر لأصبح تشريعاً للأمة من بعده ، ولصار الناس يمتنعون عن المباحات أو يحرمونها على أنفسهم ابتغاء مرضاة بعضهم بعضاً ، بل لاعتقد الناس أن ذاك تشريع يتعبدون الله به . فكان لابد من التوضيح والبيان وبيان المنهج في ذلك .

ب ـ إن مقام النبوة مقام عظيم ، ولئن كان رسول الله ﷺ لشدة تواضعه وشفقته على الأمة عامة وعلى أهل بيته خاصة لا يبرز ذلك ولا يقف عنده فإن الله سبحانه وتعالى في أكثر من مقام لفت أنظار المسلمين إلى ذلك وطلب منهم التأدب مع رسول الله ومراعاة مكانته ، كما في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾ [الحجرات : ٢] .

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فالجرأة على مقام النبوة وعدم التأدب قد يكون سبباً في حبوط العمل وكما في قوله تعالى : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم** ﴾ [المجادلة : ١٢] .

ولئن كان تقديم الصدقة بين يدي مناجاة الرسول قد نسخ بالآية التي بعدها إلا أن بقاء تلاوتها في المصاحف يترك أثراً تربوياً لما ينبغي أن يكون عليه الأمر فلا يقدم أحد على مناجاته إلا لأمر لابد منه .

وكما في قوله تعالى : ﴿ **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ...** ﴾ [النور : ٦٣] .

فلا ينادى باسمه المجرد يامحمد أو ياأبا القاسم ، وإنما ينادى يارسول الله يانبي الله . وكثيراً ما كان صحابته الأجلاء يفدونه بآبائهم وأمهاتهم قبل النطق بلقب الرسالة فيقولون فداك أبي وأمي يارسول الله ...

وكما في قوله تعالى : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ... إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لايستحي من الحق ...** ﴾ [الأحزاب : ٥٣] .

حيث كان بعض الصحابة يجلس في بيت رسول الله مستأنساً بحديث رسول الله في وقت راحته ، فجاء الأدب الرباني لهم .

والأمثلة كثيرة على تعليم الله سبحانه وتعالى للأمة لهذه الآداب مع رسول الله ﷺ ومنها هذا الموضع الذي نحن بصدده فلئن كانت العشرة قد أزالت الحجب والحرج من النفوس فلا ينبغي أن تتجاوز حدود توقير مقام النبوة . لذا كان التنبيه شديداً والوعيد مزلزلاً لأمهات المؤمنين كما سيأتي ، عندما مالت قلوبهن إلى ما يكرهه رسول الله ﷺ . وعندما شعرن أنهن ظفرن بمكسب لمنع رسول الله ﷺ

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من شرب العسل في بيت زينب بنت جحش وكان يسرّ بذلك ويستأنس به .

جـ ـ إن الإسلام قد أعطى الكلمة وزناً وثقلاً ، فكل كلمة يتفوه بها الإنسان ينبغي أن يعرف مكانها وما يترتب عليها .

ومن خلال حادثة التحريم ، وقد قال رسول الله ﷺ قولاً لتطييب نفس بعض زوجاته ثم جاء التوجيه الرباني بالرجوع عن تلك الكلمة ، فلابد أن يكون الرجوع وفق أحكام الشرع الشريف أيضاً .

وسواء كانت مقالة رسول الله ﷺ خرجت على صيغة اليمين كما تدل بعض الروايات (١) أو خرجت على صيغة التأكيد فحسب ، فقد شرع الله لهذه الأمة طريق العودة إلى ما هو الأفضل . ﴿ **ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم** ﴾ [البقرة : ٢٢٤] .

يقول رسول الله ﷺ : « من حلف على شيء ثم رأى خيراً منه فليكفر عن يمينه وليأت الذي هو خير » (٢) .

هكذا التربية الربانية للنفس المؤمنة رغبة في الخير وميل مع الحق حيث مال ، فهوى النفس تبع للحق وللخير . وتخلق بالتوجيه النبوي الكريم لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به .

فلا غرابة أن نجد النبي ﷺ يكفر عن يمينه ويعمل ما كان قد حرم نفسه منه . ليعطي القدوة في المسارعة إلى رضوان الله سبحانه وتعالى والالتزام بشرائعه وتطبيق توجيهاته .

---

(١) جاء في رواية عن الشعبي قال : حلف النبي ﷺ بيمين مع التحريم فعاتبه الله في التحريم وجعل له كفارة اليمين . انظر الرواية في تفسير عبد الرزاق الصنعاني (٣٠١/٢) ونسبه الماوردي إلى الحسن وقتادة . انظر تفسير الماوردي (٢٦١/٤) تحقيق خضر محمد خضر الكويت .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الأيمان (٨٥/٥) ، وقريب منها رواية البخاري في كتاب الأيمان والنذور (٢١٧/٧) .

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

د ـ وقبل تجاوز الحديث عن الافتتاحية لابد من التعرض لقضيتين :
قضية اجتهاد رسول الله ﷺ وقضية العتاب على هذا الاجتهاد .

أما قضية اجتهاد رسول الله ﷺ فيما لا نص فيه فأمر مسلّم به عند جمهور العلماء ثم يأتي الوحي فيسدّد إن كان هناك مجال للتسديد وإلا فسكوت الوحي عنه إقرار وتصويب ، وعلى المؤمنين الأخذ به ﴿ **وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ [الحشر : ٧] وفي هذه الواقعة كان اجتهاد بالامتناع عن مباح حلال جائز ، ولا نقول كما ذهب بعض المفسرين إلى أنه حرّم ما أحلّ الله .

يقول الشيخ زاده في حاشيته على البيضاوي : فإن قيل : ما وجه تحريم رسول الله ﷺ ذلك ؟ قلنا المراد بهذا التحريم هو الامتناع عن الانتفاع به مع اعتقاد كونه حلالاً له ، لا اعتقاد كونه حراماً بعدما أحله الله تعالى ... ولكنه يجوز أن يعد ذلك زلة يعاتب عليها لأن الامتناع عن الانتفاع بإحسان المولى الكريم يشبه رد قبول إحسانه ففيه شائبة سوء الأدب ، فلذلك عاتبه الله على ذلك بالاستفهام الانكاري ﴿ **لم تحرم ما أحل الله لك** ﴾ (١) .

أقول مما يؤكد أن التحريم بمعنى الامتناع الشخصي عن تناول المباح وجود كلمة (لك) وبما أن حياة الأنبياء الخاصة والعامة منها يستمد التشريع للأمة فكان المتوقع أن يسري هذا التحريم إلى الأمة ويكون تشريعاً لها لو لم ينزل الوحي بالبيان والتوضيح . وقد كان مثيل هذا في بني إسرائيل عندما حرم يعقوب عليه السلام على نفسه أكل لحوم الإبل وألبانها لمرض عرق النسا فيه ، وكان امتناعه عن أكلها تطبيباً لا تشريعاً ، حرمت بنو إسرائيل لحومها على

---

(١) حاشية زادة على البيضاوي (٤/ ٥١٠) ط المكتبة الإسلامية ـ ديار بكر ـ تركيا .

التجديد والتطوير NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

نفسها تشريعاً وديانة قال الله تعالى : ﴿ كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ﴾ [آل عمران : ٩٣] وبما أن شرائع هذه الأمة مبنية على التيسير والسهولة وإزالة الإصر والأغلال التي كانت على الأمم السابقة . فلا غرو أن نجد الأمر الإلهي لنبيه ﷺ بالعدول عن اجتهاده ، والتكفير عن يمينه والاستمتاع بما أحله الله له .

والأمر الثاني : هل يستحق هذا الاجتهاد في الامتناع عن المباح هذا العتاب ، وما الأمر المستوجب لهذا العتاب ؟

من خلال ما تقدم نستطيع أن نجمل دواعي العتاب فيما يلي :

أ ـ إن الامتناع عن الانتفاع بإحسان الكريم يشبه رد إحسانه وهذا إن كان يتجاوز عنه في حق عامة الناس ، أما في حق الصفوة من عباد الله فلا يمر دون التنبيه والعتاب .

ب ـ إن الأمر وإن كان خاصاً برسول الله ﷺ فإن احتمال سريان هذا الامتناع والتحريم إلى الأمة قائم . وهذا يتنافى مع ما بني عليه أمر التشريع لهذه الأمة من اليسر والسهولة وإباحة الطيبات وتحريم الخبائث .

جـ ـ إن الغرض الذي كان بسببه الامتناع لم يكن غرضاً معتبراً فلو كانت هنالك مصلحة عامة أو خاصة برسول الله ﷺ لكان لها الاعتبار في هذا الاجتهاد ، أما أن يكون الدافع إرضاء رغبة الزوجات المبنية على الغيرة بين الضرائر ، ثم يجعل ذلك دافعاً للامتناع عن الحلال فلا يعتد به .

لذا نحن نرجح أن العتاب انصب على القيد ﴿ تبتغي مرضاة أزواجك ﴾ فلو كان الامتناع لمجرد إعفاء النفس وعدم الرغبة الذاتية في الشيء لما وجدت

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

دواعي العتاب ، أما أن تكون النفس تستسيغ الشيء وتشتهيه وليس من داعٍ للامتناع سوى مرضاة الأزواج ، ولم يبنين رغبتهن على مصلحة معتبرة ، بل مطلق الحسد من ضرائرهن ، فهذا لاينبغي أن يراعى في مبررات الامتناع .

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المقطع الثاني

إفشاء سر الزوجية وعواقبه

- الحديث المستكتم
- المتظاهرتان
- الحكمة في الوعيد الشديد للمتظاهرتين
- دروس وعبر

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا
فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ ۖ
فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ
﴿٣﴾ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ
فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ
بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا
خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ
ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المناسبة بين هذا المقطع وسابقه

صلة هذا المقطع بسابقه كالتفصيل للإجمال ، فإن النفوس تتطلع إلى معرفة أسباب هذا العتاب ، وحقيقة هذا التحريم وكيفية وقوعه ، وبما أن الأمر يتعلق بتشريع الأمة وتربيتها ، اتخذت هذه الحادثة منطلقاً للتوجيهات الربانية في مثل هذه الحالة وما يشابهها من تصرفات تجري بين أفراد الأسرة المسلمة .

وحسب منهج القرآن الكريم في التركيز على مواطن العبرة والعظة من الحادثة فقد أهمل ذكر الشيء الذي حرمه رسول الله ﷺ على نفسه ، كما أهمل ذكر الشيء الذي أسره لزوجه ، ولم يتحدث عن جوانب الحديث الذي عرّف به والجانب الذي أعرض عنه .

لأن هذه الجزئيات لايتعلق بتربية الأمة وشؤونها ، إنما كان التركيز على إيداع السر ، ثم إخبارها به وإفشائها له ، وإطلاع الله رسوله على ذلك ، فلما كشف لها رسول الله ﷺ عن جوانب منه ولم يستقص ترفقاً وتكرماً وإبقاء للود ـ فما استقصى كريم قط [1] ـ استغربت ذلك وقالت من أنبأك هذا ...

فالمقطع كما قلنا تفصيل لما تقدم ونتيجة لما كان قد أشير إليه في المقطع السابق .

---

(١) أخرج ابن مردويه عن علي بن أبي طالب قال : ما استقصى كريم قط .
انظر الدر المنثور للسيوطي (٢١٩/٨) .

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الحديث المستكتم

تباينت أقوال العلماء في تحديد الحديث الذي أسره رسول الله ﷺ إلى بعض أزواجه وتعيين القسم الذي عرّف به والقسم الذي أعرض عنه ، وما الحكمة في هذا الإعراض .

فمنهم من ذهب إلى أن الحديث الذي أسر به واستكتمه حفصة كان ذا شقين :

الشق الأول يتعلق بشخصه ﷺ وهو الامتناع عن شرب العسل عن زينب والامتناع عن إتيان جاريته . وعندما أخبرت حفصة عائشة بذلك مبتهجة به وأطلعه الله سبحانه وتعالى عليه ، ذكره لها وعاتبها لِمَ باحت بسره ولم تكتمه وفي هذا الإخبار والمعاتبة تأديب لها من غير أن يترتب عليه أثر على الأمة ، كما أن إشاعة ذلك لا ضرر منه بل يكون تشريعاً للأمة واعتباراً بالأحوال واتعاظاً بالتوجيهات .

أما الشق الثاني الذي استكتمها إياه فنبأت به ولم يذكّرها به عند العتاب ، قال المفسرون كان يتعلق بأمر الخلافة بعده ، وأن أبا بكر وعمر يتوليان الأمر من بعده [1] ، وقالوا في حكمة هذا الإعراض أنه لم يشأ ذكره لئلا ينتشر الأمر لأن في انتشاره تأثيراً على إرادة الأمة في اختيار خليفتهم بعد وفاة رسول الله ﷺ ولم يشأ رسول الله ﷺ أن يجعل سابقة تشريعية في هذا الأمر سوى الشورى واختيار الأصلح الذي يرتضيه المسلمون .

---

(١) نسب هذا القول إلى ابن عباس والكلبي وغيرهما . انظر الدر المنثور (٢١٩/٨) ونظم الدرر (١٨٦/٢٠) وتفسير الخازن (٢٨٤/٤) .

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا ما قاله المفسرون في شأن الحديث المستكتم : المعرف به ، والمعرض عنه ، ولم يصح بالحديث المستكتم رواية يطمأن لها .

وأرى أن يسعنا ما وسع صحابة رسول الله ﷺ من الإبقاء على حديث رسول الله ﷺ المكتوم ، والحفاظ على سره الذي أعرض عنه . مع اعتقادنا الجازم أن هذا الحديث لم يكن من شأن الرسالة ، ولو كان من شأنها لأعلنه ولم يخص به ولا أسرّه .

ولو كانت تتعلق بمعرفة هذا الحديث مصلحة للمسلمين لبحث عنها صحابة رسول الله ﷺ وقد بقيت أمهات المؤمنين ـ صواحب الشأن في القضية ـ بعد وفاة رسول الله ﷺ مدة طويلة [1] ولم نسمع أن أحداً اتصل بهن وسألهن عن الحديث المستكتم ، بينما كانوا يقصدونهن في كل أمر أشكل عليهم فهمه أو ثار الخلاف بينهم حوله .

بل لعل الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يعتبرون الحفاظ على سر رسول الله ﷺ بعد وفاته نوع وفاء له فما كانوا ليبحثوا عن سره في حياته وبعد مماته .

وهو من نوع ما قاله حذيفة بن اليمان لعمر بن الخطاب عندما حاول الاستفسار منه عن أسماء المنافقين فقال له حذيفة إن كنت تظن أن إمارتك ستجعلني أفشي سر رسول الله ﷺ فأنت مخطيء ماكنت لأفشي سر رسول الله ﷺ حياً أو ميتاً .

---

(١) توفيت حفصة بنت عمر بن الخطاب عام ٤٥ هـ في خلافة معاوية بن أبي سفيان انظر الإصابة في تمييز الصحابة (٤/٢٧٤) .

وتوفيت عائشة الصديقة عام ٥٧ هـ انظر الإصابة في تمييز الصحابة (٤/٣٦١) .

وهما المتظاهرتان كما في الصحيحين عن عمر انظر ماتقدم في مبحث أسباب النزول وكما سيأتي بعد قليل .

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المتظاهرتان

تعددت الروايات التي تذكر اسم أم المؤمنين التي شرب عندها رسول الله ﷺ العسل فذكرت حفصة ، وذكرت زينب بنت جحش ، وذكرت أم سلمة .

كما اختلفت الروايات التي ذكرت اسم المتظاهرتين فذكرت حفصة وعائشة ، كما أوردت أسماء كل من عائشة وسودة وصفية .

ونحن نرجح ما رجحه القاضي عياض والنووي والقرطبي وابن عاشور أن شرب العسل كان عند زينب بنت جحش وأن المتظاهرتين كانتا عائشة وحفصة كما دل عليه حديث ابن عباس وهو ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله عز وجل ﴿ **إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما** ﴾ حتى حج عمر وحججت معه فلما كان عمر ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالإداوة فتبرز ثم أتاني فسكبت على يديه فتوضأ فقلت يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله تعالى : ﴿ **إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما** ﴾ قال عمر : واعجباً لك ياابن العباس ـ قال الزهري : كره والله ما سأله عنه ولم يكتمه ـ قال : هما عائشة وحفصة ، ثم أخذ يسوق الحديث ، قال كنا معشر قريش قوماً نغلب النساء ، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم ، فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم ، قال وكان منزلي في بني أمية بن زيد بالعوالي ، فغضبت يوماً على امرأتي فإذا هي تراجعني ، فأنكرت أن تراجعني ، فقالت : ما تنكر أن أراجعك فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل ، فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت أتراجعن رسول الله ﷺ ؟! فقالت : نعم ، فقلت أتهجره إحداكن

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

اليوم إلى الليل قالت : نعم ، قلت لقد خاب من فعلت ذلك منكن وخسرت أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسول الله ﷺ ؟ فإذا هي قد هلكت لا تراجعي رسول الله ﷺ ولا تسأليه شيئاً ، وسليني ما بدالك ، ولا يغرنك إن كانت جارتك هي أوسم وأحب إلى رسول الله ﷺ منك ـ يريد عائشة ـ . وكان لي جار من الأنصار فكنا نتناوب النزول إلى رسول الله ﷺ فينزل يوماً ويأتيني بخبر الوحي وغيره وآتيه بمثل ذلك ، وكنا نتحدث أن غسان تنعل الخيل لتغزونا ، فنزل صاحبي الأنصاري يوم نوبته ثم أتاني عشاء فضرب بابي ثم ناداني ، فخرجت إليه ، فقال : حدث أمر عظيم ، قلت : ماذا جاءت غسان ؟ قال : لا ، بل أعظم من ذلك وأهول ، طلق رسول الله ﷺ نساءه ، قلت قد خابت حفصة وخسرت ، قد كنت أظن هذا يوشك أن يكون ، حتى إذا صليت الصبح شددت عليّ ثيابي ثم نزلت فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت : أطلقكن رسول الله ﷺ ؟ قالت : لا أدري ، ها هو ذا معتزل في هذه المشربة ، فأتيت غلاماً له أسود . فقلت : استأذن لعمر فدخل ثم خرج إليّ فقال : قد ذكرتك له فصمت ، فانطلقت حتى أتيت المنبر فإذا عنده رهط جلوس يبكي بعضهم ، فجلست قليلاً ، ثم غلبني ما أجد فأتيت الغلام ، فقلت استأذن لعمر ، فدخل ثم خرج إليّ فقال : قد ذكرتك له فصمت ، فجلست إلى المنبر ثم غلبني ما أجد فأتيت الغلام ، فقلت : استأذن لعمر ، فدخل ثم خرج فقال : قد ذكرتك له فصمت ، فوليت مدبراً ، فإذا الغلام يدعوني . فقال : ادخل فقد أذن لك ، فدخلت فسلمت على رسول الله ﷺ فإذا هو متكيء على رمال حصير قد أثّر في جنبه ، فقلت : أطلقت يارسول الله نساءك ؟ فرفع رأسه وقال : لا . فقلت : الله أكبر لو رأيتنا يارسول الله وكنا معشر قريش نغلب النساء ، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم ، فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم ، فغضبت على امرأتي يوماً فإذا هي تراجعني ، فأنكرت إذ راجعتني ، فقالت : ما تنكر أن أراجعك ،

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل ، فقلت : قد خاب من فعل ذلك منهن وخسر ، أفتأمن إحداهن أن يغضب الله عليها لغضب رسول الله ﷺ فإذا هي قد هلكت ، فتبسم رسول الله ﷺ فقلت : يارسول الله ، قد دخلت على حفصة فقلت لا يغرنك أن كانت جارتك هي أوسم وأحب إلى رسول الله ﷺ منك ، فتبسم أخرى ، فقلت : استأنس يارسول الله ؟ قال : نعم . فجلست فرفعت رأسي في البيت ، فوالله ما رأيت فيه شيئاً يرد البصر إلا أهبة ثلاثة ، فقلت يارسول الله ، ادع الله أن يوسع على أمتك فقد وسع على فارس والروم وهم لايعبدون الله ، فاستوى جالساً ثم قال : أفي شك أنت ياابن الخطاب ، أولئك قوم عجّلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا ، فقلت : استغفر لي يارسول الله ، وكان أقسم أن لا يدخل عليهن شهراً من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة لعائشة من شدة موجدته عليهن ، حتى عاتبه الله تعالى » .

قال الزهري فأخبرني عروة عن عائشة قالت : لما مضت تسع وعشرون ، دخل عليّ رسول الله ﷺ بدأ بيّ . فقلت يارسول الله إنك أقسمت أن لا تدخل علينا شهراً وإنك دخلت من تسع وعشرين أعدهنّ . فقال : إن الشهر يكون تسعاً وعشرين . زاد في رواية وكان ذلك الشهر تسعاً وعشرين ليلة . ثم قال ياعائشة إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن تعجلي حتى تستأمري أبويك ، ثم قال : ﴿ **ياأيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها .. حتى بلغ إلى قوله ـ عظيماً** ﴾ قالت عائشة : قد علم والله أن أبوي لم يكونا ليأمراني بفراقه فقلت : أفي هذا أستأمر أبوي ؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة . زاد في رواية أن عائشة قالت : لا تخبر نساءك أني اخترتك ، فقال لها النبي ﷺ : إن الله أرسلني مبلّغاً ولم يرسلني متعنتاً [1] .

(١) انظر صحيح البخاري كتاب التفسير (جـ ٦ ص ٦٩) وصحيح مسلم بشرح النووي كتاب الطلاق (جـ ١٠ ص ٧٣) .

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ولمسلم عن ابن عباس عن عمر نحوه : وفيه قال : دخلت عليه فقلت يارسول الله مايشق عليك من شأن النساء ، فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبوبكر والمؤمنون معك . وقلما تكلمت ـ وأحمد الله ـ بكلام إلا رجوت أن يكون الله يصدق قولي الذي أقول ، ونزلت هذه الآية ﴿ عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن ﴾ ﴿ وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ﴾ .

وفيه أنه استأذن رسول الله ﷺ أن يخبر الناس أنه لم يطلق نساءه فأذن له وأنه قام على باب المسجد فنادى بأعلى صوته لم يطلق رسول الله ﷺ نساءه [1] .

وهنا يرد إشكال لابد من وقفة عنده هو :

إذا كانت المتظاهرتان حفصة وعائشة كما تقدم في رواية الصحيحين في أسباب النزول وفي حديث ابن عباس الطويل عن عمر المذكور آنفاً . فما شأن بقية أزواج رسول الله ﷺ مثل زينب بنت جحش وهي الضحية وسودة وأم سلمة وغيرهن [2] ؟ والإسلام قرّر المسؤولية الفردية ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ [الاسراء : ١٥] .

---

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٧٣/١٠) وما بعدها .

(٢) كان تحت رسول الله ﷺ عند وقوع الاعتزال ونزول آية التخيير تسع نسوة : خمس من قريش وهن : عائشة وحفصة وأم حبيبة بنت أبي سفيان ، وأم سلمة بنت أمية وسودة بنت زمعة .
وأربع من غير قريش وهن : زينب بنت جحش الأسدية ، وميمونة بنت الحارث الهلالية ، وصفية بنت حيي بن اخطب النضرية ، وجويرية بنت الحارث المصطلقية . رضي الله عنهن جميعاً .
انظر حاشية زاده على البيضاوي (٥١٢/٤) .

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لذا فإننا نرجح أن أحداثاً متلاحقة متقاربة وقعت في بيت رسول الله ﷺ وكانت أمهات المؤمنين هن اللاتي يثرن تلك المشكلات مثل حادثة المتظاهرتين وقد تقدم ذكرها . ومثل حادثة رد زينب بنت جحش هدية رسول الله ﷺ فقد أخرج ابن سعد من طريق عمرة عن عائشة قالت : « أهديت لرسول الله ﷺ هدية فأرسل إلى كل امرأة من نسائه نصيبها ، فلم ترض زينب بنت جحش بنصيبها فزادها مرة أخرى فلم ترض ، فقالت عائشة لقد أقمأت وجهك ترد عليك الهدية ، فقال : لأنتن أهون على الله من أن تقمئني ، لأدخل عليكن شهراً ... »[1] .

وحادثة ثالثة وهي التي رواها الإمام مسلم في صحيحه :

... عن جابر بن عبد الله قال دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ فوجد الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لأحد منهم ، قال فأذن لأبي بكر فدخل ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له ، فوجد النبي ﷺ جالساً حوله نساؤه واجماً ساكتاً قال : فقال : لأقولن شيئاً أضحك النبي ﷺ فقال يارسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها فضحك رسول الله ﷺ ، وقال : هنّ حولي كما ترى يسألنني النفقة . فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها ، فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها كلاهما يقول : تسألنَ رسول الله ﷺ ما ليس عنده ؟ فقلن : والله لا نسأل رسول الله ﷺ شيئاً أبداً ليس عنده ثم اعتزلهنّ شهراً أو تسعاً وعشرين ، ثم نزلت عليه هذه الآية : **﴿ ياأيها النبي قل لأزواجك ... حتى بلغ ـ للمحسنات منكن أجراً عظيماً ﴾** . قال : فبدأ بعائشة فقال : ياعائشة إني أريد أن أعرض عليك أمراً أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك قالت : وما هو يارسول الله ، فتلا عليها الآية . قالت أفيك يارسول الله

---

(١) رواه ابن ماجه في كتاب النكاح (٦٦٤/١) .

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أستشير أبوي ، بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة ، وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت ، قال : لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها إن الله لم يبعثني معنتاً ولا متعنتاً ، ولكن بعثني معلماً ميَسِّراً (١) .

يقول ابن حجر بعد الإشارة إلى الروايات المتعددة ... ويحتمل أن يكون مجموع هذه الأشياء كان سبباً لاعتزالهن ، وهذا هو اللائق بمكارم أخلاقه ﷺ وسعة صدره وكثرة صفحه وأن ذلك لم يقع منه حتى تكرر موجبه منهن ﷺ ورضي عنهن (٢) .

ويقول في موضع آخر : واختلف الحديثان في سبب الاعتزال ، ويمكن الجمع بأن يكون القضيتان جميعاً سبب الاعتزال ، فإن قصة المتظاهرتين خاصة بهما ، وقصة سؤال النفقة عامة في جميع النسوة . ومناسبة آية التخيير بقصة سؤال النفقة أليق منها بقصة المتظاهرتين (٣) .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي : كتاب الطلاق ، باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق (٨١/١٠) .

(٢) انظر فتح الباري كتاب النكاح (٢٥٤/٩) .

(٣) انظر فتح الباري ـ كتاب التفسير ـ (٤٠٠/٨) .

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الحكمة في الوعيد الشديد للمتظاهرتين

تأتي بعض الآيات القرآنية مشتملة على الوعيد الشديد على أمر قد يُظن لأول وهلة أنه لا يستدعي هذا التهويل والاهتمام وهذه العقوبات .

ولكن إذا نظرنا إلى القضايا التي جاء عليها الوعيد والتهديد وهوّل من شأنها بعين فاحصة مدققة وجدناها ترجع إلى أسس العقيدة من التوحيد والإيمان باليوم الآخر والإيمان بالرسول ورسالته .

وأضرب لمثل هذه الآيات الأمثلة التالية :

المثال الأول :

جاء في سورة مريم قوله تعالى : ﴿ **وقالوا اتخذ الرحمن ولداً ، لقد جئتم شيئاً إداً ۞ تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً ۞ أن دعوا للرحمن ولداً ۞ وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً ۞ إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً ۞ لقد أحصاهم وعدهم عداً ۞ وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً** ﴾ [مريم : ٨٨ ـ ٩٥] .

الناظر في الآيات الكريمة قد يخطر على باله لأول وهلة أن مقالة صدرت من أناس لم يستعملوا عقولهم في الاهتداء إلى الحق فافتروا على الله كذباً ونسبوا إليه زوراً اتخاذ ولد .

وما أكثر المزوّرين للحقائق خلال التاريخ ، وما أكثر الذين يطلقون الكلام على عواهنه من غير تدبر لمدلولات كلامهم ، فهل يوقف على كلام أمثال هؤلاء مثل هذه الوقفة ، وهل من آثار هذه الكلمة وأمثالها أن تؤثر على نظام السماوات

التجديد والتطوير NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والأرض وهدّ الجبال وتدمير الكون ، وتقضي على مظاهر الحياة فيه . وقد يتساءل في قرارة نفسه عن سر هذا التهويل والتضخيم من كلمة المضالين ﴿ اتخذ الرحمن ولداً ﴾ .

إن الاستغراب يزول من أذهاننا عندما ننظر إلى القضية بمنظار أدق وأعمق ، إن قضايا العقيدة وسائر الأمور العقلية ، بل كل وجوه التعامل مع الناس في هذه الحياة يقوم على مسلّمات وبدهيات ، جميع العقلاء يسلّمون بها .

إن جميع العقلاء يسلّمون أن : ١ + ١ = ٢ ،

وأن الأبيض غير الأسود وهما ضدان ،

وأن الليل غير النهار ،

وأن الكل أكبر من جزئه ...

إلى قضايا كثيرة غيرها لا يختلف في شأنها عاقلان ،

ومن منطلق هذه المسلّمات يتم التفاهم بين الناس في معايشهم وتدبير شئون حياتهم المعيشية ، والتفاهم حول قضاياهم الفكرية والتربوية .

ولو جادل إنسان في قضية من هذه القضايا فقال إن الليل مشرق وأن النهار مظلم ، وأن الشيء أكبر من كله وأن ١ + ١ = ٣ فإننا نتهم هذا القائل باختلال العقل وبالتالي باختلال موازين المقايسة عنده فلا نستطيع أن نتفاهم معه ، ونتركه وشأنه ونهمله ولا نلتفت إلى كلامه .

أما إذا كان هذا العاقل ذا خطر وأثر في حياتنا وحياة غيرنا فإننا نحاول أن نقنعه بشتى الأساليب ونعيده إلى جادة الصواب والتسليم بالبدهيات التي يقرها جميع العقلاء ، وذلك قبل أن يستفحل الأمر وتحل أمور خاطئة محل هذه المسلّمات وبالتالي يختل نظام التفاهم والتعامل بين العقلاء . إن كثيراً من أمور العقائد تُتلقى في السنوات الأولى من حياة الطفل ، وإذا حفرت هذه العقائد أو

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الأفكار أخاديد في ذهنه فمن الصعب جداً اجتثاثها في المستقبل من غير أن تترك ندبات مكانها .

ولنعد بعد هذا التمهيد إلى ما نحن بصدده ، إن من المسلّمات البدهية عند العقلاء وأهل الفكر والتدبر أن صفات الخالق مختلفة عن صفات المخلوق وإن اتحدت من حيث الأسماء في بعضها فالمخلوق مستحدث ، له بداية ونهاية ، تعتوره الحوادث من النمو والزيادة والتكاثر والتوالد أو الضعف والاضمحلال والزوال .

أما الخالق فقديم هو الأول فلا شيء قبله وهو الآخر فلا شيء بعده منزه عن الحوادث ، غني عن كل شيء ، كل ما سواه مفتقر إليه .

إن مقالة أولئك الذين ضلوا ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولداً ﴾ إن انتشرت وتبعهم الناس فيها وحلت محل البدهيات العقلية في العقيدة فمعناها أنهم وضعوا الخالق مكان المخلوق فوصفوه بصفاته ، وأضفوا على المخلوق صفات الخالق ، فكان في ذلك اختلال نظام الكون ، ولترتب على ذلك أن يكون للخالق نهاية وبداية وتوالد وتكاثر ، وبما أن المولود يأخذ خاصيات المتولد منه وصفاته فيؤدي ذلك إلى القول بتعدد الآلهة .

﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ [الأنبياء : ٢٢] .

﴿ قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً ﴾ [الاسراء : ٤٢] .

فهل أدركنا سر هذا التهويل من شأن هذه المقولة الكاذبة الخاطئة المدمرة لنظام السماوات والأرض . إنها مناقضة لأساس التوحيد الذي قوام السماوات والأرض به ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ...﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المثال الثاني :

لقد قال المنافقون في حادثة الإفك ما قالوا ، واتهموا السيدة عائشة الصديقة رضي الله عنها في عرضها ، وهي الحَصان البريئة الطاهرة .

لا شك أن اتهام البريء شيء قبيح ، وعظيم ، والذين يفترون الكذب ويلغون في أعراض الناس عامة وفي أعراض المؤمنين خاصة يرتكبون جرماً شنيعاً ويستحقون ما قرر في شأن القاذفين (ثمانين جلدة) .

ولكن قد يظن الظان ما الحكمة في تخصيص حادثة السيدة عائشة رضي الله عنها بهذا الاهتمام ، وأن ينزل في شأن براءتها عشر آيات في القرآن الكريم تتلى إلى يوم القيامة ، وفي ثنايا هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ **ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم * إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم** ﴾ وقوله ﴿ **يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين** ﴾ [الآيات من سورة النور : ١١ ـ ٢٠] .

وقد يقول قائل إن السيدة عائشة رضي الله عنها ليست أول بريئة اتهمت مثل هذا الاتهام وليست الأخيرة ، وليست المنفردة في عصر التنزيل بذلك ، فما سر هذا التأكيد والتهويل في شأن حادثة الإفك والتهديد والوعيد الرهيب في المؤاخذة عليها ؟ !! .

إن الأمر أعظم مما نتصور أو نقدر . إن القضية كانت محاولة من المنافقين ـ أعداء الإسلام ـ لزعزعة الثقة بشخص رسول الله ﷺ ، والطعن في عصمته ، والتشكيك في نبوته .

إن قضايا الإيمان قائمة على الثقة المطلقة بالرسول ﷺ بأقواله وأفعاله وتقريراته ، وبأنه القدوة للمسلمين في حياتهم ، وحياته الأسرية النموذج الأمثل

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

للأسرة الإسلامية وأن أي اهتزاز لهذه الصورة المشرقة عن الرسول ﷺ وأهل بيته له آثار على عقيدة المسلمين جميعاً إلى يوم القيامة .

ولقد كان رسول الله ﷺ حريصاً على إبعاد وساوس الشيطان عن قلوب المؤمنين في كل المجالات وخاصة مما يتعلق بالثقة بشخصه وتصرفاته .

روى البخاري من حديث الزهري عن علي بن الحسين كان النبي ﷺ في المسجد ... فخرج النبي ﷺ معها ـ أي زوجه صفية بنت حيي ـ فلقيه رجلان من الأنصار فنظرا إلى النبي ﷺ ثم أجازا وقال لهما النبي ﷺ : تعاليا إنها صفية بنت حيي قالا سبحان الله يارسول الله ، قال : إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم وإني خشيت أن يلقي في أنفسكما شيئاً (١) .

إن مجرد الوسواس بأن رسول الله ﷺ قد شوهد ليلة مع امرأة يجعل القلب ميداناً لتوهيم الشيطان ...

فكيف إذا نجح المنافقون أن يزرعوا في القلوب نظرة السوء إلى عرض رسول الله ﷺ وعلمه بذلك وسكوته عليه .

لا شك أنها المدمرة لأساس الثقة برسولهم الذي يجسد في حياته الإسلام : عقائده وتشريعاته وأخلاقه .

ولما كان الأمر متعلقاً بأخص خصوصيات رسول الله ﷺ العائلية فلو جاءت تبرئة السيدة عائشة رضي الله عنها على لسان رسول الله ﷺ أو جاءت في صورة رؤيا يراها رسول الله ﷺ ـ كما كانت تتوقع السيدة عائشة ـ لوجد المنافقون مجالاً للتشكيك أيضاً بأن الرجل يدافع عن عرضه ، وهو أمر معهود عند الكرام من البشر أن يغار على عرضه وينافح عنه .

---

(١) انظر صحيح البخاري في كتاب الاعتكاف (٢٥٨/٢) ، ومسند الإمام أحمد (١٥٦/٣) .

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أما إذا كانت التبرئة من خلال آيات الذكر الحكيم المعجز بأسلوبه ودلالاته المبيّن لأبعاد القضية ، المشتمل على الدروس التربوية ، والعظات البليغة فإنه قاطع لدابر الإرجاف والتشكيك .

وما نحن بصدده الآن من هذا القبيل ، إنه أمر يتعلق ببيت الرسول ﷺ البيت المثالي ، القدوة لبيوت المسلمين جميعاً ، وما يجري فيه يستمد منه المسلمون أحكام دينهم ومناهج حياتهم الأسرية .

فينبغي أن ينزه هذا البيت من ألاعيب النساء وحيلهنّ لكسب قلب الزوج وتحوله عن ضرائرهن بدافع الغيرة النسائية .

فلئن رسخ في أذهان المسلمين أن بيت رسول الله ﷺ ميدان لهذه المؤامرات والحيل ، وأن تصرفات رسول الله ﷺ تتأثر سلباً أو إيجاباً بها وأن أقواله وأفعاله قد تبنى على أمور متوهمة . لتزعزعت الثقة بشخص رسول ﷺ وخاصة مايتعلق بالجانب العائلي من حياته .

ولا شك أن في ذلك هدماً لأحد دعائم المجتمع الإسلامي الذي أولاه القرآن اهتماماً خاصاً .

﴿ يانساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً ۞ وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ [الأحزاب : ٣٢ ـ ٣٣] .

فهل نستغرب بعد هذا أن ينزل هذا التهديد والوعيد المجلجل المزلزل وهذا الحشد الذي لا يصمد تجاهه شيء بشأن المتظاهرتين ﴿ إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير[1] ، عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً ﴾ .

---

(١) الحكمة في العدول عن عطف المفرد إلى عطف الجملة في قوله تعالى ﴿ والملائكة بعد ذلك ظهير ﴾ ليؤذن بالفرق ، فإن نصرة الله هي النصرة في الحقيقة ، وأن الله تعالى إنما ضم إليها المظاهرة بجبريل وبصالح المؤمنين وبالملائكة للتتميم تطييباً لقلوب المؤمنين وتوقيراً لجانب الرسول وإظهاراً للآيات البينات كما في يوم بدر وحنين ، قال الله تعالى : ﴿ وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ﴾ .
[آل عمران : ١٢٦] وانظر الجمل على الجلالين (٣٦٦/٤) .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بين سورة الأحزاب وسورة التحريم

اشتملت سورة الأحزاب على جملة من الوقائع والأحداث تدور أغلبها في حدود السنة الرابعة والخامسة من الهجرة وما بعدها بقليل :

فحادثة إبطال عادة التبني جاءت قبيل زواج رسول الله ﷺ بزينب أي في السنة الرابعة للهجرة [١] . وكذلك الآية التي أشارت إلى زواج زيد بن حارثة بزينب [٢] .

وأحداث غزوة الخندق [٣] وبني قريظة والتي سميت السورة بها وقعت في السنة الخامسة للهجرة وزواج رسول الله ﷺ [٤] بزينب بنت جحش مطلقة زيد بن حارثة كان في السنة الخامسة أيضاً .

والآيات المشتملة على آداب دخول بيوت النبي ﷺ [٥] نزلت في السنة الخامسة بمناسبة المدعوين إلى وليمة العرس بزينب رضي الله عنها وكذلك آية الحجاب [٥] .

فالسورة كلها تتحدث عن أحداث متقاربة في هذا الوقت .

وقد دلت روايات أسباب النزول أن آيتي التخيير [٦] نزلتا بسبب الأحداث

---

(١) وهي الآيات من ١ ـ ٥ من سورة الأحزاب .

(٢) وهي الآية ٣٦ من سورة الأحزاب وبقيت زينب عند زيد عاماً واحداً .

(٣) وهي الآيات من ٩ ـ ٢٧ من سورة الأحزاب .

(٤) وهي الآيات من ٣٧ ـ ٤٠ من سورة الأحزاب .

(٥) وهي الآيات من ٥٣ ـ ٥٩ من سورة الأحزاب .

(٦) وهما الآيتان ٢٨ ـ ٢٩ من سورة الأحزاب .

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

التي وقعت في السنة التاسعة للهجرة ، وكما رجح النووي وابن حجر والقرطبي والشوكاني وغيرهم أن مجموع الأحداث والوقائع كانت سبب نزول التحريم وآيتي التخيير .

والسؤال الذي يفرض نفسه :

ماالحكمة في وضع هاتين الآيتين في سورة الأحزاب التي تدور وقائع الأحداث فيها في مرحلة زمنية متقدمة لاتقل عن أربع سنوات ولم توضع في سورة التحريم التي تدور أحداثها في نفس الفترة التي نزلت فيها آيتا التخيير ؟ علماً أن الآيات تتحدث عن أمر يتعلق ببيت النبوة وأمهات المؤمنين .

وللإجابة على هذا الاستفسار والتساؤل أقول :

هناك عدة حكم ـ والعلم عند الله ـ تجعل المكان المناسب لآيتي التخيير سورة الأحزاب وليس سورة التحريم ، منها :

١ ـ إن جو سورة التحريم جو تهديد ووعيد مباشر للمتظاهرتين وتلميح بالطلاق لجميع الزوجات ﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن﴾ .

وتوجيه للمؤمنين بوقاية أنفسهم وأهليهم ناراً وقودها الناس والحجارة وأمر للرسول ﷺ بالتشديد والإغلاظ على الكفار والمنافقين وسوق أمثلة لحالات كافرات لم ينفعهن قربهن من صفوة عباد الله الصالحين واقترانهن بهم .

وهذا كله استمرار لجو التهديد والوعيد لتفظيع التآمر الذي كان بين المتظاهرتين وإفشاء سر الزوجية الذي قامت به المستكتمة ، وبيان خطورة ذلك .

بينما سياق آيات سورة الأحزاب أنسب للتخيير ، فقد ذكر قبل آيتي التخيير انتصار رسول الله ﷺ والمؤمنين على طوائف من أعداء الله واستيلاؤهم على حصونهم وقلاعهم وتوريثهم أرضهم وديارهم وأموالهم ودخولهم أرضاً لم تطأها أقدامهم من قبل .

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وينتج من ذلك كثرة المال والغنائم وبالتالي يثير التطلع في النفوس إلى التوسع في الانفاق بسبب وفرة المال ، فكان مدعاة إلى مطالبة أمهات المؤمنين بالنفقة والتوسع عليهن .

يقول الطاهر بن عاشور في تفسيره :

(وجه الاتصال لهذه الآية بما قبلها ـ أي آية التخيير ـ أنه لما فتحت على المسلمين أرض قريظة وغنموا أموالهم ، وكانت أرض النضير قبل ذلك فيئاً للنبي ﷺ حسب أزواج رسول الله ﷺ أن مثَله مثَل أحد من الرجال إذا وسَّع عليهم الرزق توسعوا فيه هم وعيالهم ، فلم يكن أزواج النبي ﷺ يسألنه توسعة قبل أن يفيء الله عليه من أهل النضير ، وقبل أن يكون له الخمس من الغنائم ، فلما رأين النبي ﷺ جعل لنفسه ولأزواجه أقواتهم من مال الله ، ورأين وفرة ما أفاء الله عليه من المال حسبن أن يوسِّع في الانفاق ، فصار بعضهن يستكثرنه من النفقة كما دل عليه قول عمر لحفصة ابنته أم المؤمنين : « لا تستكثري النبي ولا تراجعيه في شيء وسليني ما بدا لك ») .

وإذ قد كان شأن هذه السيرة أن يشق على غالب الناس وخاصة النساء أمر الله جل جلاله رسوله ﷺ أن ينبيء أزواجه بها ويخيِّرهن عن السير عليها تبعاً لحاله وبين أن يفارقهن [1] .

٢ ـ إن آية التخيير كانت مدخلاً لتوجيه جملة من الأوامر والنداءات لأمهات المؤمنين خاصة ، ونساء المؤمنين عامة للابتعاد عن مظان السوء ، والتحذير من الفاحشة وبيان فضل الطاعة والقنوت والقرار في البيوت ، والتنفير من التبرج ، والتحريص على الذكر وتلاوة القرآن ، والصدقة والتحلي بالأخلاق

---

(١) انظر تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢١/٣١٤ ، ٣١٥) باختصار .

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الكريمة والخصال الحميدة من الصبر والصدق والخشوع ، والقيام بالعبادات المفروضة والمندوبة .

وهو مدخل في غاية الروعة والجمال ، حيث استغل الوقت المناسب واستعداد المخاطب النفسي للسماع فوجه إليه التوجيهات المناسبة .

٣ ـ وبعد توجيه جملة من الآداب التي تتعلق بحياة المسلمين عند تعاملهم مع آل بيت النبوة يأتي الأمر لرسول الله ﷺ ﴿ **لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيباً** ﴾ [الأحزاب : ٥٢] .

وكأن هذا الأمر جزاء لحسن اختيار أمهات المؤمنين عندما اخترن جميعاً الله ورسوله والدار الآخرة ، واتصفن بتلك الصفات والأخلاق والآداب التي ذكرت بعد آية التخيير ، فكان أن ألزم رسول الله ﷺ بالاقتصار عليهن فلا يتزوج بغيرهن ولا أن يبدل بهن غيرهن .

إن جو سورة الأحزاب أنسب وسياقها أوفق لآية التخيير ، بخلاف جو سورة التحريم المتضمن للتهديد والوعيد .

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

دروس وعبر

الدرس الأول : دوافع إفشاء السر :

الزوجة موطن سر الزوج دائماً ، وألصق الناس به وأعرفهم بخصائصه ودخيلة نفسه وهي أولى الناس بمعرفة ذلك .

ولا بد لكل إنسان من مكمن سر ، يبث همومه واستشاراته الخاصة ، بل هناك من الأسرار مالا يريد كشفها حالاً ، ولا يريد كتمانها طيلة الوقت ، فلا بد من شخص يودعه هذا السر .

فلئن كان إفشاء السر من الصفات الذميمة من أي شخص كان صدوره ، فكونه من أحد الزوجين أعظم بكثير .

وهذا يكشف لنا جانباً من جوانب الإجراء الصارم الذي اتخذه رسول الله ﷺ تجاه زوجاته جميعاً ، ليكون في ذلك تربية وعبرة ودرس قاس يبقى ماثلاً في الأذهان حيث آلى على نفسه أن لا يقربهن شهراً كاملاً . بل كنَّ على خطر الطلاق والاستبدال بهن غيرهن .

وهذا يدفعنا للبحث عن الدافع إلى إفشاء السر عامة ، وإلى الدافع إلى إفشائه في هذه الحالة الخاصة .

الدوافع النفسية وراء إفشاء السر :

تختلف النفوس والطبائع من شخص لآخر ، وبالتالي تختلف دوافعها لإفشاء السر ولكن يمكن إعادة الدوافع إلى أسباب رئيسية من أهمها :

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أ ـ إظهار النفس بأنها تمتاز عن الآخرين في نظر الذي وضع عنده السر فلو لم يكن جديراً بالثقة والأمانة لما أودعه هذا السر وخصه بهذه الخاصية ، ففي هذا الإفشاء نوع من المباهاة والرياء وإبراز الميزة والفضل على الآخرين ، وفي حقيقته تغطية لعقدة نقص يستشعرها الذي أفشى السر .

ب ـ الرغبة في إدخال الغيرة والحسد على قلوب الآخرين ، والشماتة بهم حيث إنهم حرموا من هذه الميزة وخص هو بها ، وهذا الدافع وإن كان قريباً من الأول ، إلا أنهما يختلفان من حيث الأثر المترتب على إفشاء السر ، ففي الأول المباهاة ، وفي الثاني الشماتة بالاخرين .

جـ ـ الرغبة في الإضرار بصاحب السر (المسِرّ) وزعزعة ثقة الناس به عندما يدركون حقيقته وما يضمره للآخرين في نفسه .

د ـ التقرب للآخرين بأداء خدمة إليهم للحصول على منفعة مادية أو أدبية منهم ومن هذا القبيل ما عمله حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه ، عندما راسل قريشاً يخبرهم نية رسول الله ﷺ في فتح مكة ، حيث صرح بأنه أراد أن يكسب عندهم يداً لحماية أمواله وأهله . ولم يفعل ذلك كفراً بعد إيمان وصدّقه رسول الله ﷺ في ذلك ، ولم يسمح لأحد أن يؤذيه بكلمة أو غيرها .

ولو رجعنا إلى الحادثة التي نحن بصددها لرأينا أن الدافع الأول أقرب مايكون وراء إفشاء حفصة رضي الله عنها لما أسر به إليها رسول الله ﷺ وهي إبراز المكانة والميزة تجاه ضرائرها عند رسول الله ﷺ ولا يبتعد السبب الرابع وهو التقرب إلى عائشة بأداء هذه الخدمة إليها ولعل استغرابها وتعجبها يدلان على ذلك حيث سألت رسول الله ﷺ ﴿ من أنبأك هذا ﴾ لأنها كانت تثق بعائشة ، وكانت على يقين بأن عائشة لن تفشي لها سراً ، لأنهما كانتا متصافيتين ، فعلمت أنه لا قبل لرسول الله ﷺ بعلم ذلك إلا من قبل عائشة ، أو من طريق الوحي فرامت التحقق من أحد الاحتمالين .

التجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الدرس الثاني : المرأة والطلاق :

من أشد الأمور على نفس المرأة العاقلة تهديدها بالطلاق ، فالطلاق هدم لعش الزوجية الدافئ ، الذي بنته المرأة بعواطفها وأحاسيسها ، هدم لمملكتها وعرشها الذي تتربع عليه ، تبخر لأحلامها التي تخطط من خلالها للمستقبل السعيد ، قطع لوشائج المودة التي نسجت خيوطها من مشاعرها .

ويكون الوقع أعظم والمصيبة أشد إذا علمت المرأة أن طلاقها يستتبع الاستبدال بها ويكون هذا البدل خيراً منها .

لقد شاهدنا بعض النساء طلقهن أزواجهن طلاقاً بائناً ، وعندما سمعت إحداهن أن زوجها السابق سيتزوج بأخرى ، حاولت المستحيل للحيلولة دون هذا الزواج وعندما قيل لها : هل لك أمل في العودة إليه ؟ قالت : حسب الظاهر لا ، ولكن لا أتحمل رؤية أخرى تحل محلي وتعيش في بيت أنا كونته ورتبته .

إنها طبيعة المرأة ومشاعرها وتكوينها العاطفي ، والذي خلقها وأودع فيها هذه القوى والطاقات ، عليم بما يصلح شأنها .

ولعله من باب التكريم لأمهات المؤمنين أن يأتي هذا التهديد في صيغة الرجاء والتعليق بالشرط ﴿ عسى[1] ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن ﴾ .

وإشارة إلى أنه يكفي العاقل في الخوف تجويز احتمال الضرر .

وهو من باب إشارة العظماء والكبراء في اكتفائهم بالإشارات والرموز ولله المثل الأعلى في السموات والأرض .

---

(١) يقول أهل اللغة والنحو : كل (عسى) في القرآن واجب إلا في هذا الموضع .

وقيل : هو واجب ولكن الله عز وجل علقه بشرط وهو التطليق ولم يطلقهن وهو كقوله تعالى : ﴿ وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ [محمد : ٣٨] وكقوله تعالى ﴿ لئن أشركت ليحبطنّ عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾ [الزمر : ٦٥] .

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الدرس الثالث : الصفات المرغوبة في الزوجة :

عندما هددت أمهات المؤمنين بالاستبدال بهن غيرهن خيراً منهن ، جاء تفصيل هذه الخيرية بذكر سبع [1] صفات تتوفر في كل واحدة منهن فقال تعالى : ﴿ مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً ﴾ .

وكلها صفات تدل على المستوى الإيماني الرفيع والتحلي بالأخلاق النبيلة ، وإيثار الآخرة على الفانية .

وهي الصفات التي ينبغي البحث عنها في الزوجة التي يقدم الرجل للاقتران بها وهو تفصيل لما رغّب فيها رسول الله ﷺ بقوله « فاظفر بذات الدين تربت يداك » [2] .

ولم يرد بين تلك الصفات المرغوب فيها صفة تتعلق بظاهر شكل المرأة أو جمالها أو غناها أو نسبها ، فإنها أمور لا ترقى إلى مرتبة الترغيب بها .

أما ما ورد من ذلك في حديث رسول الله ﷺ فهو وصف للواقع حيث قال : « تنكح المرأة لأربع : لمالها وجمالها ونسبها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » [2] . فإن النفس الإنسانية تميل إلى هذه الأمور ولكن العقل الراشد يختار الأوفق والأصلح للدنيا والاخرة .

---

(١) يقول الشيخ طاهر بن عاشور : هذه الصفات انتصبت على أنها نعوت لـ (أزواجاً) ولم يعطف بعضها على بعض بالواو لأجل التنصيص على ثبوت جميع تلك الصفات لكل واحدة منهن ، ولو عطفت بالواو لاحتمل أن تكون الواو للتقسيم ، أي تقسيم الأزواج إلى من يثبت لهن بعض تلك الصفات دون بعض ، ألا ترى أنه لما أريدت إفادة ثبوت إحدى صفتين دون أخرى من النعتين الواقعين بعد ذلك كيف عطف بالواو قوله (وأبكاراً) لأن الثيبات لا يوصفن بأبكار ، والأبكار لايوصفن بالثيبات . انظر التحرير والتنوير (٣٦٢/٢٨) .

(٢) انظر صحيح البخاري ، كتاب النكاح (١٢٣/٦) .
و صحيح مسلم ، كتاب الرضاع (١٧٥/٤) .

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المقطع الثالث

دور القدوة في تربية الأسرة

- مسؤولية الرجل عما تحت رعايته
- تنبيه واستدراك قبل فوات الأوان
- أساليب في التربية
- دروس وعبر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ
نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ
لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ
أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا
مَعَهُ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا
أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ
وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المناسبة بين هذا المقطع وسابقه

بعد أن جاء الوعيد الرهيب للمتظاهرتين والتلميح بالطلاق لهن والابدال بهن غيرهن جاء في هذا المقطع فتح باب الرجاء والتوبة وتدارك الفرصة قبل فوات الأوان وبدأ المقطع بتوجيه الخطاب إلى المؤمنين وبيان دورهم في وقاية أنفسهم وأهليهم النار .

ومن المعروف في الأسلوب القرآني اتخاذ الحادثة الجزئية سبيلاً إلى التعميم وسوق الهدايات الشاملة إلى الإنسانية ، فمن حادثة المتظاهرتين إلى مخاطبة المؤمنين إلى مخاطبة الكافرين والناس عامة .

وكذلك من الأسلوب القرآني الجمع بين الترغيب والترهيب ، وهما جناحا التقوى والهداية ، كجناحي الطير إن فقد أحدهما لم يتم الطيران والسير الصحيح ويختم هذا المقطع بتوجيه النبي عليه الصلاة والسلام إلى اتخاذ الموقف المناسب من الكفار والمنافقين ، ومجاهدتهم بالوسائل المناسبة لأحوالهم من الإعراض عنهم أحياناً وتوجيه الموعظة البليغة لهم والتنعيف والتوبيخ لهم تارة والتهديد والوعيد تارة ، والقتال والتشريد أخرى ، حتى يثوبوا إلى رشدهم ويقلعوا عن دسائسهم وتآمرهم وإلقاء البلبلة والفتن في المجتمع الإسلامي .

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مسؤولية الرجل عما تحت رعايته

إن مسؤولية المؤمن عن أهله كمسؤوليته عن نفسه ، فهو الراعي الذي استرعاه الله سبحانه وتعالى شؤون هذه الرعية كما نص رسول الله ﷺ على ذلك في قوله « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته ، والرجل راعٍ في أهله وهو مسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها ، والخادم راعٍ في مال سيده ومسؤول عن رعيته ... والرجل راعٍ في مال أبيه ومسؤول عن رعيته وكلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته » [1] . وفي هذه التسمية والتشبيه بالراعي لطائف وإشارات من رسول الله ﷺ الذي أوتي جوامع الكلم نشير إلى بعضها :

☆ ـ إن راعي الغنم يرتاد لها المرعى الخصب الذي يعود عليها بالنفع من غير أن يلحقها الأذى . وكذلك المؤمن الذي يحرص على وقاية أهله من النار ، عليه أن يسعى عليهم بالكسب الحلال المستساغ الذي لايلحق بهم ضرراً في صحتهم وفي دينهم .

☆ ـ وبهيمة الأنعام تنقاد لراعيها من غير مجادلة أو اعتراض بل تتوجه إلى حيث يوجهها فكذلك الأهل فهم مستسلمون منقادون لرب الأسرة مادامت الثقة متوافرة والأمل معقوداً في حكمته وحرصه عليهم وعدم تفريطه فيهم .

☆ ـ إن من شأن الراعي أن يداوي مرضاها ويهنأ جرباها ويشملها بعنايته في كل شؤونها .

---

(١) رواه البخاري في كتاب الجمعة (٢١٥/١) ومسلم في كتاب الإمارة (٨/٦) .

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وكذلك رب البيت مسؤول عن كل مايدفع الأذى عن أهل بيته ويوفر لهم سلامة الأبدان والأديان ، ويضمن لهم التوجيه الصحيح والسلوك المستقيم .

☆ ـ والراعي يجنب غنمه المسبعة والمذأبة والمهلكة ويدافع عنها مخاطر العوادي .

وكذلك رب الأسرة يجنب أهل بيته المهالك المادية والمعنوية ، فيجنبهم مصارع السوء ومباءة الرذيلة والانحراف والمفاسد الخلقية والمزالق العقدية .

وكما تكون الرعاية والقوامة والعناية بتوفير وسائل العيش الرغيد للأهل زوجة وأولاداً ومن يقع تحت رعايته ، تكون أحياناً بالموعظة والغلظة في القول أو الفعل .

فربما كانت الاستجابة الدائمة لرغبات الزوجة والأولاد في المتع والملذات مفسدة لهم وتشوفاً منهم إلى الأمور المشتبهات بعد تجاوز حدود المباحات ، فعندئذ ينبغي لراعي الأسرة أن يقف بهم على الحد الذي لاينبغي تجاوزه ، فهو كالراعي الذي يحمي حمى محارم مراعي غيره .

ويعطي المؤمن من نفسه القدوة المثلى لأهل بيته في سعة الصدر وحسن الخلق والتواضع ، والوقوف عند حدود الله وتعظيم شعائر دينه ، ومحاسبة النفس ويكون في حاجتهم يساعد الصغير ويشجع الكبير ويعدّل المعوج .

جاءت نسوة إلى آل الرسول ﷺ يشكون أزواجهن ، فقال عليه الصلاة والسلام : « لقد أطاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن ليس أولئك بخياركم » [1] .

إن رباط الزوجية المقدس الذي سماه الله سبحانه وتعالى الميثاق الغليظ لاينبغي أن يكون عرضة للانفصام والتحلل بمجرد نزوة نفسية أو أحموقة هوجاء

---

(١) انظر مختصر سنن أبي داود ، كتاب النكاح (٦٩/٣) .

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لهوى طائر ، وما أحكم ما قاله عمر رضي الله عنه لرجل أراد أن يطلق زوجته لأنه لا يحبها : ويحك ألم تبن البيوت إلا على الحب ؟ فأين الرعاية والتذمم [1] .

وقد بيّن رسول الله ﷺ أن المرأة المؤمنة مهما كرهها زوجها فإنها لاتخلو من خلق كريم وسجية جميلة يرضى عنه الرجل ، فيقول : « لا يَفْرَك مؤمن مؤمنة ، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر » [2] .

ومن وصايا رسول الله ﷺ للرجال التي يجب أن لا تغيب عن البال إن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج ما في الضلع أعلاه فإن ذهب يقيمه كسره وإن تركه استمتع به وهو أعوج [3] .

ولربما اطّلع المؤمن على بعض المنغصات في حياته الزوجية ومع بعض أولاده فليجعل نصب عينه قوله تعالى ﴿ **وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً** ﴾ [النساء : ١٩] .

ومما ينبغي الالتفات إليه التوازن بين مهام العمل والعبادة والتفرغ للأهل ، فيعطي كل ذي حق حقه ، فمن الحقوق التي ينبغي أن تؤدى حق الزوجة ورعاية الأولاد فلا ينبغي أن يشغل المؤمن وقته داخل بيته بعباداته ومطالعاته ، بل يقسم وقته بين هذا وذاك فإن للزوجة حق الاستمتاع بزوجها ، وعليه أن يرضي أنوثتها بالتجمل لها بالزينة التي أباحتها الشريعة السمحاء .

---

(١) التذمم : هو أن يحفظ ذمام صاحبه ويطرح عن نفسه ذم الناس له إن لم يحفظه . انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير (١٦٩/٢) .

(٢) رواه مسلم ، في كتاب الرضاع (١٧٨/٤) . ومعنى (يفرك) يبغض ، النهاية (٤٤١/٣) .

(٣) جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « استوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع ، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء » انظر الصحيح كتاب الأنبياء (١٠٣/٤) .

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال لي رسول الله ﷺ : « ألم أنبأ أنك تقوم الليل وتصوم النهار ، فقلت : نعم فقال : فإنك إذا فعلت ذلك هجمت العين ونفهت النفس [1] ، صم من كل شهر ثلاثة أيام فذلك صوم الدهر أو كصوم الدهر ، قلت إني أجد بي قوة ، قال فصم صوم داود عليه السلام وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفرّ إذا لاقى » [2] .

وفي رواية مسلم : « .. بلغني أنك تصوم النهار وتقوم الليل فلا تفعل ، فإن لجسدك عليك حظاً ولعينك عليك حظاً وإن لزوجك عليك حظاً .. » الحديث[3] .

وكان هذا الهدي معروفاً بين صحابة رسول الله ﷺ متبعاً في حياتهم ، يأمر بعضهم بعضاً به ، فعن أبي جحيفة رضي الله عنه قال : « آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء رضي الله عنهما ، فزار سلمان أبا الدرداء ، فرأى أم الدرداء متبذلة فقال لها ما شأنك ؟ قالت : أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا ، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً فقال : كل ، فإني صائم ، قال سلمان : ما أنا بآكل حتى تأكل ، فأكل . فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم الليل ، قال سلمان : نم ، فنام . ثم ذهب يقوم ، فقال : نم ، فلما كان من آخر الليل قال سلمان : قم الآن ، فصليا ، فقال له سلمان : إن لربك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً فأعط كل ذي حق حقه ، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له ، فقال النبي ﷺ صدق سلمان » [4] .

---

(١) معنى هجمت العين : غارت وضعف بصرها ، ومعنى نفهت النفس : تعبت وكلّت .

(٢) رواه البخاري في كتاب الأنبياء (٤/١٣٤) .

(٣) انظر صحيح مسلم كتاب الصوم (٣/١٦٦) .

(٤) رواه البخاري كتاب الصوم (٢/٢٤٣) وروى البخاري في كتاب العيدين طرفاً منه (٢/١١) .

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بل يذهب هدي نبي الرحمة إلى أبعد مدى يتصوره المؤمن في السماحة ومراعاة حال الأهل في ما لا يخالف شرعاً ، ولا يؤثر على مروءة بل من باب الاهتمام بما يشبع التطلع النفسي لحال حديثي السن .

عن عروة عن عائشة أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى تغنيان وتضربان ورسول الله ﷺ مسجىً بثوبه ، فانتهرها أبو بكر فكشف رسول الله ﷺ عنه وقال : دعهما يا أبا بكر ، فإنها أيام عيد ، وقالت : رأيت رسول الله ﷺ يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون وأنا جارية فاقدروا قدر الجارية العربة الحديثة السن الحريصة على اللهو[1] .

إن الزوجة مخلوق تعتورها المشاغل والاهتمامات المختلفة ، وقد تنشغل عن بعض الأمور فلا تؤديه على الوجه الأكمل ، فإلى جانب اهتماماتها بعبادتها ورعاية أطفالها والقيام بخدمة المنزل وتهيئة الطعام ، قد تنشغل عن مراعاة الجانب النفسي وحق التبعل لزوجها ، فلا ينبغي للزوج أن يكون حسيباً رقيباً على كل صغيرة وكبيرة ، بل عليه أن يتغاضى عن بعض الجوانب وبخاصة مايتعلق بأموره الخاصة وقيام الزوجة بها ، مادامت قائمة برعاية حقوق الله في نفسها وفي أهل بيتها .

وهذا مايحمله لنا هدي رسول الله ﷺ ، فمن شمائله عليه الصلاة والسلام (ما عاب طعاماً قط ، إن اشتهاه أكله وإن كرهه تركه) [2] .

وسأل أهله الأدْم ، فقالوا : ما عندنا إلا خلّ ، فدعا به فجعل يأكل ، ويقول : « نِعْمَ الأدم الخلّ ، نِعْمَ الأدم الخلّ » [3] .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه كتاب العيدين ، انظر النووي على مسلم (١٨٥/٦) .

(٢) رواه البخاري في كتاب الأطعمة (٢٠٤/٦) .

(٣) رواه مسلم كتاب الأشربة (١٢٥/٦) .

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إن المؤمن يدرك بحسه الإيماني المرهف الموقف الاصلاحي المناسب الذي ينبغي اتخاذه تجاه رعاية الزوجة والأولاد ، ومن يكون تحت رعايته وعنايته .

إنه مسؤول عن وقايتهم جميعاً عن اقتحام حفرة النار التي تنتظر المارقين والمارقات من أحكام الشرع الحنيف .

إنه مسؤول عنهم في أداء عباداتهم على الوجه الأكمل وعن سلوكهم في الحياة ، وأي إخلال في رعايتهم إخلال بجانب القوامة على الأهل ، وقدح في رجولته ، إنهم أمانة في عنق الرجل ، إذ غالباً ماتكون المرأة على دين زوجها ، يقودها معه إما إلى الجنة وإما إلى النار .

﴿ ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً ، وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد ، لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون ﴾ .

إن دور القوامة لايتحقق ، والأثر المطلوب في سلوك الأهل والأولاد لايبرز إلا إذا كان الرجل ذا شخصية قوية جذابة محببة ، وخلق نبيل ، وتسامح وإغضاء عن الهفوات الصغيرة ، ووقوف حاد جازم عند حدود الله ، وتطبيق لأحكامه على أفراد الأسرة جميعاً ، وقيادة بارعة لبقة نحو الخير ، وبذل وسخاء في غير سرف ولا تبذير ، ونباهة ووعي وشعور بالمسؤولية في الدنيا والآخرة ، ينبغي أن يكون صاحب حكمة يضع الأمور في نصابها ويلبس لكل حال لباسها ويستخدم لكل مقام مقالها .

﴿ ياأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم ﴾ [التغابن : ١٤] .

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أساليب في التربية

في هذا المقطع جملة من الأساليب التربوية الرفيعة كما هو شأن القرآن الكريم في كل توجيهاته .

الأسلوب الأول
الدعوة إلى التوبة وفتح باب الأمل

إن المعصية ثقل وحمل يثقل كاهل صاحبه في الدنيا قبل الآخرة ، فمهما تظاهر العاصي بالعزة والأنفة والبطر والأشر بين الناس ، فإنه في قرارة نفسه وفي حسّه الداخلي صغير حقير تافه جبان يستشعر ذلك من نفسه في لحظات الصدق معها والتي تنتاب المؤمن بين الحين والآخر ، وإلا لما كان مؤمناً .

وعلى الداعية المربي أن يستغل هذه اللحظات العابرة لدى العاصي المذنب إن استشعرها ، ويوسع من دائرة الإحساس بها كلما سنحت الفرصة ويجعلها تذهب بلذة المعصية العاجلة ، ويفتح أمامه باب الأمل في السعادة الحقيقية التي تنتظر التائبين الآيبين إلى ربهم ، ليتنسموا نفحاتها من خلال رحلة العودة إلى الله تعالى ويلقوا عن كواهلهم ثقل المعاصي ، ويستشعروا عز الطاعة .

فإذا أدرك هذا التائب أن الله سبحانه وتعالى لايرد الصادقين المتوجهين إليه تقطعت الحبال بينه وبين الماضي الذي يشده إليه ويعوقه من التوجه إلى مولاه .

بل على الداعية إلى الله أن يبرز عزة هذا المؤمن المتوجه إلى الله التائب من ذنبه حيث يفرح ربه بتوبته أكثر مما يتصوره هذا المذنب .

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عن أنس بن مالك الأنصاري خادم رسول الله ﷺ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة ، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها ، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها ، وقد أيس من راحلته ، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده ، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدي وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح » (١) .

والتوبة الصادقة تجبّ ما قبلها مهما كان الذنب ، ومهما أرّق مضجع صاحبه فالذي بيده مقاليد الأمور يصرفها كيف يشاء لا يعجزه أن يغفر الذنب ويقلب الموازين يقول تعالى : ﴿ **والذين لايدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولايزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً ۞ يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً ۞ إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً** ﴾ [الفرقان : ٦٨ ـ ٧٠] .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعةً وتسعين نفساً ، فسأل عن أعلم أهل الأرض ، فدلّ على راهب ، فأتاه فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفساً ، فهل له من توبة ؟ فقال : لا ، فقتله فكمّل به مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض ، فدلّ على رجل عالم فقال : إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال : نعم ، ومن يحول بينه وبين التوبة ؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا ، فإن بها أناساً يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء ، فانطلق

---

(١) انظر صحيح مسلم كتاب التوبة (٩٣/٨) .
وقريب منه في صحيح البخاري كتاب الدعوات (١٤٦/٧) .

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى ، وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيراً قط فأتاهم ملك في صورة آدمي ، فجعلوه بينهم ـ أي حكماً ـ فقال : قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له ، فقاموا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد ، فقبضته ملائكة الرحمة [1] .

وفي رواية في الصحيح : « فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تباعدي ، وإلى هذه أن تقرّبي وقال : قيسوا مابينهما ، فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فغفر له » .

ولكن شرط هذه التوبة أن تكون نصوحاً ، وقد ذكر أهل العلم للتوبة النصوح شروطاً ثلاثة :

أحدها : أن يقلع عن المعصية .

والثاني : أن يندم على فعلها .

والثالث : أن يعزم أن لا يعود إليها أبداً .

فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته .

وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة : هذه الثلاثة ، وأن يبرأ من حق صاحبها ، فإن كانت مالاً أو نحوه ردّه إليه ، وإن كانت حد قذفٍ ونحوه مكّنه منه أو طلب عفوه ، وإن كانت غيبة استحله منها [2] .

إن رحمة الله واسعة ، فلا ييأسنّ مذنب من رحمة ربه .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب الأنبياء (١٤٩/٤) .
ومسلم في صحيحه كتاب التوبة (١٠٣/٨) .

(٢) يقول محمد بن كعب القرظي : التوبة النصوح يجمعها أربعة أشياء : الاستغفار باللسان ، والإقلاع بالأبدان ، وإضمار ترك العود بالجنان ، ومهاجرة سيء الإخوان ، انظر تفسير الخازن (٢٨٧/٤) .

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عن عمران بن الحصين الخزاعي رضي الله عنهما : « أن امرأة من جهينة أتت رسول الله ﷺ وهي حبلى من الزنا ، فقالت : يارسول الله أصبت حداً فأقمه عليّ ، فدعا نبيّ الله ﷺ وليّها فقال : أحسن إليها ، فإذا وضعت فأتني ، ففعل ، فأمر بها نبي الله ﷺ ، فشدت عليها ثيابها ، ثم أمر بها فرجمت ، ثم صلى عليها ، فقال له عمر : تصلي عليها يارسول الله وقد زنت ؟ قال : لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم ، وهل وجدتَ أفضل من أن جادت بنفسها لله عز وجل » (١) .

ومن رحمة الله سبحانه وتعالى بهذه الأمة حيث أكرمها بالتيسير والتسهيل فلم يربط التوبة بطقوس معينة وعلى أيدي وسطاء أو رجال دين كما لم يحدد للتوبة فترة أو زمناً محدداً ، فمتى توجه العبد إلى ربه وجده تجاهه .

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » (٢) .

هذا التحديد بالنسبة للبشرية عامة ، أما بالنسبة لكل فرد فهناك مدة خاصة بكل شخص وهي وقت دنو الموت منه عند حضور سكرات الموت حيث يرفع التكليف ويطلع المرء على مكانه ، وترفع الحجب عن عينه .

عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر » (٣) .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه كتاب الحدود (١٤١/٥) وأحمد في المسند (٤٣٠/٤) .
(٢) رواه مسلم في كتاب التوبة (١٠٠/٨) وأحمد في المسند (٣٩٥/٤) .
(٣) رواه الترمذي في كتاب الدعوات (٢٠٧/٥) .

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يقول تعالى : ﴿ وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليما ﴾ [النساء : ١٨] .

وعلى المؤمن المبادرة إلى رحمة الله ورضوانه ، قبل فوات الأوان فإن أحداً لايدري متى تكون غرغرته ، فهادم اللذات يقتحم على الناس حياتهم ويقطع عليهم آمالهم ، فكم من شاب قضى نحبه ولم يتمتع بزهرة شبابه وكم من كهل جمع ثروة وغنى وسيادة وعزاً فاختطفته المنية ولم يمهله للاستمتاع بها .... وكم .... وكم ...

﴿ ياأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ... ﴾ .

﴿ ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً ﴾ [الزمر : ٥٣] .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الأسلوب الثاني
العطاء الكثير على العمل القليل

إن رحمة الله واسعة ، يعطي الكثير على العمل القليل إذا كان خالصاً لوجه الله جل جلاله لاتشوبه شائبة الشرك الأكبر والأصغر وكان المؤمن حال أدائه العمل الصالح في منأى عن الحرام وملابساته فكان مطعمه حلالاً وملبسه حلالاً وقد غذي بالحلال .

إن أثقل ما يوضع في الميزان كلمة التوحيد .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « من سبّح الله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين ، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين ، وكبر الله ثلاثاً وثلاثين ، وقال في تمام المائة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر » [1] .

لو أدرك المذنب أن لله مائة رحمة أنزل منها واحدة على أهل الأرض فوسعتهم جميعاً فبها يتراحم الناس والدواب ، وادخر الله سبحانه وتعالى لنفسه تسعاً وتسعين رحمة عنده ثم يكملها بهذه الرحمة مائة ليرحم بها عباده المؤمنين الذين ماتوا على كلمة التوحيد ، فهل تتصور سعة رحمة الله تعالى [2] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب المساجد (١ ٤١٨) ط فؤاد عبد الباقي .

(٢) مقتبس من حديث رواه مسلم في صحيحه كتاب التوبة (٨ /٩٦) .

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الذي كان بلغ مني ، فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقي فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له ، قالوا يارسول الله وإن لنا في هذا البهائم لأجراً ، فقال : في كل كبد رطبة أجر (١) .

فإذا كان الله سبحانه وتعالى يدخل البغيّ ـ الزاني ـ الجنة بسبب شربة ماء سقاها كلب ، وما قيمة شربة الماء ، وما مكانة الكلب في الفلاة .

وإنما وقع هذا العمل موقعاً من الله تعالى لتلك الشفقة التي انطلقت من شفاف ذاك القلب الذي اعتورته الأحاسيس والمشاعر الإنسانية وتروح بنسمات الرحمة لذي كبد رطبة بلغ منه العطش مبلغاً قد أحسّه من نفسه ، إن هذه الأحاسيس بحد ذاتها شيء عظيم في ميزان الله تعالى بغض النظر عن الجهة التي أثارتها وبغض النظر عن العمل والآثار التي نتجت عنها .

لذا كان التائب الصادق في توبته المتوجه إلى ربه كمن لا ذنب له .

فهل تستغرب بعد ذلك هذا الرجاء الذي هو محقق ـ كما تقدم ـ في قوله تعالى : ﴿ عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار .. ﴾ .

---

(١) رواه مسلم في كتاب الأشربة (٤٤/٧) ، وفي رواية أخرى عند مسلم : أن امرأة بغياً رأت كلباً في يوم حار يطيف ببئر قد أدلع لسانه من العطش فنزعت له بموقها فغفر لها . وقريب منها في صحيح البخاري كتاب الأنبياء (١٤٨/٤) .

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الأسلوب الثالث
التكريم على ملأٍ من الناس من الأساليب التربوية الناجحة

جبلت بعض النفوس على الاكتفاء بالحصول على حظها من المنافع من غير اهتمام بالأسلوب الذي استخدم في إيصال هذه المنفعة إليه ، فإن وصلته المكافأة وصارت في حوزته فسيّان عنده أكانت من المعطي مباشرة أو بواسطة غلمانه ، وسواء وصلته سراً أو على ملأٍ من الناس ، وسواء كانت من خلال العمل اليومي أو في حفل تكريم خاص .

فالنتيجة أن تكون في يده وتصله منفعتها وكفى .

ولكن بعض الطبائع مختلفة تماماً فالجانب الأدبي والمظاهر التي ترافق المكافأة تكون أهم عنده وأغلى من قيمة المكافأة المادية .

وربما وصل الأمر ببعض الناس أن يكون لديهم الاستعداد للتنازل عن قيمة المكافأة الحقيقية لقاء مظاهر التكريم التي توصل المكافأة إليه . وكثيراً ماتكون المكافأة الأدبية المعنوية ذات قيمة عند المكافأ لاتقدر بثمن مادي .

إننا نتلمس شيئاً من تلك الاشارات في مظاهر التكريم على الملأ من الناس في قوله تعالى ﴿ .. يوم لايخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير ﴾ .

فتكفير السيئات وإدخال الجنة لايكون في خفية من الناس بل يكون في موكب كريم مهيب يشهده الأنبياء والمرسلون وعباد الله المكرمون تحفهم الملائكة وتتلقاهم بالبشارة والترحاب .

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والمؤمنون يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ، كلٌ يضيء له نوره على قدر إيمانه [1] .

في هذا اليوم المشهود تبرز مكانة أهل الإيمان والعمل الصالح فتتلألأ أنوارهم ويجوزون الصراط على ضوئها .

وما أن يقتربوا من أبواب الجنة وإذ بهم يستقبلون من قبل الملائكة بالترحاب والثناء عليهم ، إن الحشر في هذا الموكب الكريم وهذا النور الذي يسعى بين أيديهم وبأيمانهم وتلقي الملائكة لهم لهي سعادة لاتضاهيها سعادة الدنيا كلها فما بالك بالنعيم المقيم والأمن من العذاب ثم تتويج ذلك بالنظر إلى وجه الرب الكريم .

﴿ وسيقَ الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ﴾ [الزمر : ٧٣] .

أما أهل الكفر فظلام دامس وظلمات بعضها فوق بعض ، ظلمة جهنم وظلمة القعر السحيق ، وظلمة القتر المتصاعد ، وظلمة قلوبهم ووجوههم .

أما المنافقون والمنافقات فيتقد لهم نور في نظير إقرارهم بكلمة التوحيد ظاهراً فإذا مشوا طفيء فيمشون في ظلمة ، فيقعون في النار ﴿ جزاءً وفاقاً ﴾ .

---

(١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى ﴿ يسعى نورهم بين أيديهم ﴾ قال : « على قدر أعمالهم يمرون على الصراط منهم من نوره مثل الجبل ، ومنهم من نوره مثل النخلة ، ومنهم من نوره مثل الرجل القائم وأدناهم نوراً من نوره في إبهامه يتقد مرة ويطفأ مرة » .
وقال قتادة : ذكر لنا أن النبي ﷺ كان يقول : « من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن أبين وصنعاء فدون ذلك ، حتى إن من المؤمنين من يضيء نوره موضع قدميه .
انظر الروايات في تفسير ابن كثير (٣٠٨/٤) .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ۞ ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور ﴾ [الحديد : ١٣ ـ ١٤] .

في هذا اليوم العظيم وبعد أن يرى المؤمنون أن نور المنافقين قد اطفيء يجأرون إلى ربهم بإتمام نورهم ، فلا يخزيهم الله سبحانه وتعالى .

﴿ يوم لايخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفرلنا إنك على كل شيء قدير ﴾ .

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الأسلوب الرابع
من الأساليب التربوية الجهاد والغلظة في القول

يقول اللغويون : إن الجهاد مأخوذ من بذل الوسع لتحقيق غاية ما ، والجهاد والمجاهدة عند الإطلاق تصرف إلى قتال العدو ومدافعته بالمال والنفس ، ولكن دلالة الكلمة أوسع من ذلك .

يقول الراغب في مفرداته :

والجهاد والمجاهدة : استفراغ الوسع في مدافعة العدو ، والجهاد ثلاثة أضرب : مجاهدة العدو الظاهر ، مجاهدة الشيطان ، مجاهدة النفس ، وتدخل ثلاثتها في قوله تعالى ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده ﴾ ﴿ وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ﴾ [1] .

وفي هذه الآية الكريمة ﴿ يأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾ لابد من صرف الكلمة إلى كل طائفة بما يناسب حالهم .

فجهاد الكفار المحاربين يكون بالقتال .

وجهاد الكفار المحايدين يكون بالدعوة وبالحجج والبراهين .

وجهاد الكفار المستأمنين من أهل الذمة وغيرهم يكون بالدعوة تارة ومراعاة مصالحهم أحياناً وبالحكمة والموعظة الحسنة كثيراً .

وجهاد المنافقين يكون بالتخويف والانذار والغلظة في القول وبيان سوء عاقبتهم في الدنيا والآخرة .

---

(١) المفردات للراغب الاصفهاني (١٤٢) . وانظر عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي ١٠٣ .

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن كل ذلك ندرك أن الكلمة القرآنية ﴿ جاهد ﴾ جاءت في سياق آيات سورة التحريم لدلالات باهرة منها :

☆ ـ إن السياق سياق وعيد وتهديد للارتقاء بالمستوى التربوي للمؤمنين عامة في الاقلاع عن المخالفات والالتزام بجادة الصواب .

وتلميحاً إلى أمهات المؤمنين اللاتي تظاهرن على رسول الله ﷺ .

☆ ـ إن الإشارات التربوية تدل على أن الوقوع في المخالفات وارتكاب المعاصي من شأن الكفار والمنافقين .

وميل القلب إلى ما يكرهه رسول الله ﷺ من صفات المنافقين ، أما المؤمن الصادق فشأنه أن يكون هواه تبعاً لما جاء به رسول الله ﷺ وأن يكون حبه تبعاً لما يحبه رسول الله ، وأن يكون كرهه لما يكرهه رسول الله ﷺ .

☆ ـ إن من الأساليب الناجحة في تربية النساء الغلظة عليهن أحياناً وعدم مراعاة تلبية رغباتهن ، والانسياق مع مشاعرهن وعواطفهن ، فإن الإكثار من التلطف معهن يجعلهن يتطلعن إلى الإكثار من المباحات بل والتجاوز إلى المكروهات فالمحرمات .

وقليل من النساء من تلتزم حدود الشرع ولاتتطلع إلى الوقوع في المخالفات من غير أن يكون عليها رقابة زوجية أو رقابة من ولي أمرها .

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المقطع الرابع

العظات والعبر في سير الأقدمين

- النماذج السيئة التي لم ينفعها القرب من الصالحين
- النماذج الحسنة التي لم ينفعها القرب من السيئين
- عود على بدء

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا
لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ
عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا
مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾
وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ
قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ
وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ
عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا
وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المناسبة بين هذا المقطع وسابقه

بعد التهديد والوعيد للكفار والمنافقين ربما توهم بعض الكفار الذين كانت لهم قرابة بالمسلمين أنها تنفعهم ، كما كان لبعض المسلمين قرابة بالكفار ، وربما توهموا أنها تضرهم ، ضرب لكل مثلاً .

أي مثل الله حالهم في أنهم يعاقبون لكفرهم ولايحابون لقرابتهم .

فبعض الكفار اتصلوا بالنبي ﷺ ولم ينفعهم الاتصال بدون الإيمان ، والمرأتان كذلك فكانت حالتهما داعية إلى الخير والصلاح ، ولكنهما خانتا زوجيهما بعدم الإيمان بهما وبما جاءا به من عند الله مع تحقق ماينفيها من صحبة النبي فهو تصوير لحالهما المحاكية لحال هؤلاء الكفرة في خيانتهم رسول الله بالكفر والعصيان مع تمكنهم من الإيمان والطاعة [1] .

ومن المناسبات اللطيفة بين هذا المقطع ومحور السورة الذي يدور حول تربية الأسرة ـ وقوامها الزوجة والأولاد ـ أنه تعريض بأمي المؤمنين اللتين تظاهرتا على رسول الله ﷺ ففي ذكر امرأة نوح وامرأة لوط وعدم نفع القرب والصلة بينهما وبين زوجيهما تعريض بهما وتحذير لهما من خاطر الاغترار بغناء الصلة الشريفة عنهما في الوفاء بحق مايجب من الإخلاص للنبي ﷺ ليكون الشبه في التمثيل أقوى .

فعن مقاتل : يقول الله سبحانه وتعالى لعائشة وحفصة لا تكونا بمنزلة امرأة نوح وامرأة لوط في المعصية وكونا بمنزلة امرأة فرعون ومريم .

فالله يحقق وعيده ولا يمنعه من ذلك أنها زوجة نبي [2] .

---

(١) انظر الفتوحات الإلهية ، الشهير بالجمل على الجلالين (٤/٣٧١) .

(٢) التحرير والتنوير باختصار (٢٨/٣٧٤) .

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

النماذج السيئة التي لم ينفعها قربها من الصالحين

إن المرأة مكمن سر الرجل فهي رفيقة الحياة ، إليها يعود الرجل بعد تعب النهار ليجد عندها الراحة النفسية ويتخلى عند عتبة الباب هموم العمل ويلقى في زوجه الترحاب والسلوان .

ومهما كان عند الزوج من خصوصيات يحاول إخفاءها عن الناس جميعاً فلن يستطيع اخفاءها دائماً عن زوجته ، بل كثيراً ما يضيق صدره عن سر يحمله فيريد إيداعه عند شخص أمين ، فلا يجد أولى من زوجته لإيداعها السر ، كما أن هنالك أموراً لايستطيع المرء القيام بها إلا في بيته ومع خواصه من الناس والزوجة من أخص الخواص للرجل .

لذا كانت الزوجة الصالحة الصادقة الأمينة الكاتمة للسر من العوامل الهامة في حياة الدعاة والمتعرضين للقضايا العامة للناس .

لقد تمكن أعداء الإسلام في كثير من أقطار المسلمين من ضرب الحركات الإسلامية عن طريق النساء ، بل من الأسلحة الفتاكة في حروب الدول تجنيد النساء في سلك المخابرات والجاسوسية وخاصة نساء الساسة والقادة العسكريين ، ومن بيدهم اتخاذ القرارات الخطيرة في شؤون الدولة ومن المعلوم أن كثيراً من قوانين الدول تمنع من زواج بعض القادة والسياسيين وأهل السلك الدبلوماسي من الزواج بالأجنبيات ، وكل ذلك استشعار بخطورة دور المرأة في حياة الرجل واطلاعها على خصوصياته وأسراره سواء مايتعلق منها بحياته الخاصة أو بعمله .

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إن القصص التي تروى في حياة الشعوب ومجريات الأحداث التي تغير وجه التاريخ ربما تبدأ مسيرتها من حديث عابر ثرثرت به امرأة مع زميلتها أو جارتها وربما كان آلاف الضحايا والأموال الطائلة أرهقت كاهل دولة نتيجة همسات عابرة تسربت إلى أعدائها عبر إذن زوجة أو سكرتيرة لأحد مسئوليها .

كما أن لها دوراً كبيراً في التأثير على حياة العائلة عامة وترك بصماتها الواضحة في طبائع الأبناء والبنات بل تكاد المنفردة في التربية الخلقية والنفسية للأولاد .

والآيات الكريمة بين أيدينا تسوق نموذجاً من النساء زوجتان كانتا تحت نبيين من أنبياء الله تعالى أي كانت القيادة الفكرية والاجتماعية بأيديهما وهما المسؤولان عن الدعوة ووشؤونها .

برز تأثير إحداهما ـ امرأة نوح ـ على أهل النبي فكانت سبباً في إضلال أحد أبنائه ، حيث كانت تشوه صورة نوح عليه السلام في عين ابنه والابن ينظر إلى أبيه على أنه قدوته المثلى ويقلده في كل شؤونه ، وهو ينظر غالباً إلى ذاك المثل من خلال نظرة أمه .

كانت امرأة نوح عليه السلام تقول عن نوح ـ كما ورد عن ابن عباس ـ إنه ساحر ومجنون .

فنشأ ولده وبعد أن بلغ مبلغ الرجال كان هذا الانطباع في ذهنه ، ولما وقعت واقعة الطوفان انكشفت ثمرة تربية امرأة نوح على ابنها :

﴿ ... ونادى نوح ابنه وكان في معزل يابني اركب معنا ولاتكن مع الكافرين ، قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ۞ وقيل ياأرض ابلعي ماءك وياسماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين * ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين * قال يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ماليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين ﴾ [هود : ٤٢ ـ ٤٦] .

والمرأة الأخرى ـ امرأة لوط ـ ظهر آثار صنيعها على القوم المدعوين ، فإن اجتمع لوط عليه السلام بأحد من المدعوين ، أو طرقه ضيف في خفية من الناس أعلمت قومها الكفرة بذلك بعلامات اتفقت عليها مسبقاً معهم فكان أن أرسل الله سبحانه وتعالى عليهم حجارة من سجيل وكان مصيرها مصير قومها الذين تمالأت معهم .

﴿ قالوا يالوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولايلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ماأصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب ﴾ [هود : ٨١] .

﴿ قال إني لعملكم من القالين * رب نجني وأهلي مما يعملون * فنجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزاً في الغابرين * ثم دمرنا الآخرين وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين ﴾ [الشعراء : ١٦٨ ـ ١٧٣] .

ومن المهم أن نعرف أن خيانة الامرأتين لم تكن خيانة زنا وإنما خيانة في الدعوة والعقيدة .

قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانت خيانتهما أنهما كانتا على غير دينهما ، فكانت امرأة نوح تطلع على سر نوح ، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به ، وأما امرأة لوط فكانت إذا أضاف لوط أحداً أخبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء .

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ونساء الأنبياء معصومات عن الفاحشة لعصمة الأنبياء وحرمتهم .

عن سفيان عن ابن عباس : في تفسير قوله ﴿ فخانتاهما ﴾ قال : مازنتا أما خيانة امرأة نوح فكانت تخبر أنه مجنون ، وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل قومها على أضيافه [1] .

ولا يقال كيف يصح الزواج بكافرة على غير دين الزوج ، فإن في شريعتنا جواز التزوج بالكتابيات وهن كافرات ومصيرهن إلى النار في عقيدتنا إن متن على ملة النصرانية أو اليهودية .

---

(١) انظر الرواية في الدر المنثور للسيوطي (٢٢٨/٨) .

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

النماذج الحسنة التي لم يضرها القرب من أهل السوء

في عرف الناس أن القرب من أناس معينين يجر صفتهم عليه ، فينظرون إلى أهل المجرم نظرة تحقير وإلى أولاد اللص نظرة ازدراء وإلى زوجة المرتشي نظرة ريبة وشك ...

ولاشك أن المرء يتأثر ببيئته ومنشئه ، ويتطبع بطباع من يخالطهم ويتأثر بصفاتهم ، ولكن لاينبغي أن يكون الأمر على إطلاقه ، إن الأصل في ذلك معدن الإنسان وجوهره ، والمعادن تختلف من إنسان إلى آخر فربما اختلفت المعادن وكشفت الفتنة البعد الحقيقي ما بين معدني إنسانين تجمعهما بيئة واحدة وسقف واحد .

لذا لاينبغي أن يؤخذ أحدهما بجريرة الآخرة ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ [الاسراء : ١٥] .

ويضرب الله سبحانه تعالى مثلاً لهذا النموذج الذي لم يتأثر بما يحيط به من مفاسد ، ولم تنحرف فطرته على الرغم من الدواعي التي كانت تدعو إلى ذلك إنه نموذج امرأة فرعون .

امرأة فرعون تمثل ذلك النموذج الإنساني الرفيع الذي يتسامى عن ملذات الدنيا ومتعها وأبهتها . ويركل ذلك كله برجله ، ويضحي به في سبيل العقيدة والظفر بما عند الله من رضوانه وجناته .

لقد توافر لآسية بنت مزاحم [١] كل أسباب المتع الدنيوية :

---

(١) في صحيح البخاري : كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد ، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام . انظر الصحيح ، كتاب الأنبياء (٤/١٣٢) .

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فمن حيث الجاه هي زوجة ملك مستبد طوع بنانه ملك مصر ، وأنهارها تجري من تحته ، وله العروش والمقام الكريم .

وفي خدمتها الجواري وكل أهل البلاط يسعون في خدمتها .

والأموال والجواهر والزينات وكنوز الأرض في حوزتها .

والأثاث والرياش ومهرة الصناع والبنائين يتقربون إليها بإسداء الخدمات .

إن ماتحلم به امرأة في الدنيا ويصل إليه خيالها كان تحت يدها .

فلما لامست بشاشة الإيمان قلبها ـ وكانت صاحبة فراسة ـ رأت في موسى الطفل وهو يترعرع في حضنها بكل صفاء الطفولة وبراءتها واستقامتها وجمالها وصدقها ونقائها ، ووجدت في موسى الطفل والشاب نموذج الإنسانية الكاملة .

ورأت في موسى النبيّ الصدق والرشد والهداية والتقوى والشجاعة والقوة والزهد وإنها المعاني التي تلامس شفاف القلب وتستهوي النفس الإنسانية السوية التي لم تنحرف عن فطرة الله التي فطر الناس عليها وهي الدين القيم .

فآمنت بموسى عليه السلام ودعوته ، وترفعت عن الدنيا كل الدنيا وشهواتها وآثرت جوار الله سبحانه وتعالى على جوار فرعون ، وآثرت الدار الباقية على الدار الفانية ، وآثرت البيت في الجنة على قصور فرعون ، وآثرت لذة المناجاة مع رب السماوات والأرض على الدنيا وأنسها .

واستعذبت العذاب في الله واحتسبت نفسها مجاهدة شهيدة .

إن التضحية عند المرأة قد تكون أكثر مما عند الرجل ، لشدة عاطفتها وميلها الطبيعي إلى التمسك بالمثل والفضائل .

وتحملها في سبيل عقيدتها أقوى مما عند الرجل ، لأن المرأة فطرت على تحمل المشاق للاستعداد النفسي لديها .

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إن أهل الدعوة الإسلامية كثيراً مايفرّطون في تأهيل المرأة لحمل الدعوة ومن ينظر في السيرة النبوية يجد أن رسول الله ﷺ قد أولى المرأة المسلمة الداعية اهتمامه وشغلت المرأة حيزاً كبيراً في حياة الدعوة عند الرعيل الأول .

فأول شهيد في الإسلام كانت امرأة لقد أخذت بالعزيمة وصبرت حتى نالت الشهادة ، بينما كان كثير من الشباب من صحابة رسول الله أخذوا برخصة الله في ذلك وأعطوا المشركين ماطلبوا منهم من التفوه بكلمة الكفر ، وفيهم نزلت ﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ﴾[النحل :١٠٦] .

وقل مثل ذلك في زنّيرة وأم عمارة وصفية بنت عبد المطلب .. وغيرهن .

﴿ وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ﴾ .

والمرأة الثانية الصالحة في المثل المضروب للنماذج الحسنة مريم ابنة عمران عليها السلام .

إنها تمثل نموذج الفتاة الصالحة التي نشأت في بيت طاعة وفي بيئة صالحة في كنف نبي من أنبياء الله تعالى زوج خالتها نبي الله زكريا عليه السلام حيث قام بكفالتها ورعاية شؤونها .

إنها مثال النبل والطهر والعفاف والتقوى منذ نعومة أظفارها فكان تكريم الله تعالى لها أن تحمل بعيسى عليه السلام من غير أب فتكون هي وابنها آية للناس .

إن النموذج الحسن للمرأتين الصالحتين أبرز مافيهما ترفعهما عن زينة الحياة الدنيا وشهواتها ومتعها .

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فامرأة فرعون تمثل نموذج المترفعات عن الجاه واللذة والمتاع والزينة والخدم والحشم والقصور فآثرت ماعند الله على غيره ، وآثرت اللذة الخالدة على اللذة الفانية .

ومريم ابنة عمران تمثل النموذج المترفع عن شهوات الفرج فأحصنت فرجها . فأكرمها الله سبحانه وتعالى بإرسال روحه إليها لينفخ فيها .

والمتعة الجنسية المزلق الثاني الذي تنزلق فيه المرأة وتكون الفتنة عن طريقها .

والتكريم كل التكريم للمترفعات عن متع الدنيا وشهواتها بشقيها شهوة البطن وشهوة الفرج .

وإيثار الحياة الباقية وملذاتها على الحياة الفانية وشهواتها .

﴿ اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾ [الحديد : ٢٠] .

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الدرس الأول
تمثل المبادئ بالأشخاص

من الأسلوب القرآني المطرد تقريباً سوق نماذج إنسانية تتمثل بها المبادئ والأفكار . والأفكار المجردة تأتي باهتة في الغالب لاتثير الأحاسيس ولاتطلق المشاعر الكامنة . وقد يظن بعضهم أنها مجرد مبادئ نظرية قد لا تجد لها أثراً في واقع الحياة .

ولكن عندما يتمعنها في سيرة الأقدمين وقد تحققت في سيرة أشخاص ، تكون العبرة أكبر والعظة أشد .

من يتصور هذا النموذج المنحرف أن تخالف الزوجة مبادئ دعوة زوجها وهي تعايشه ليله ونهاره والأصل أن يكونا روحاً واحدة في جسدين وأن تكون المرأة ـ وهي مكمن سر الزوج ـ التابع الأمين ومستودع الأمانات لزوجها ، وأن يلقى الزوج عندها السلوة والعزاء في كل مايلاقيه في دعوة الناس إلى الخير والفلاح .

ولكن نجد أن الصنف البشري يبرز في سلوك امرأة نوح وامرأة لوط ليتقرر من خلال سلوك الامرأتين الدستور الإلهي ، أن القرب من الصالحين لاينفع من لم يهد الله قلبه للإيمان ، فالعبرة بالنسب العقدي وبالولاء القلبي ، وليس بالقرب المكاني أو النسبي .

وبالمقابل تتمثل مبادئ الرفعة والعزة والإيثار والتسامي والسعي إلى مرضاة الله سبحانه وتعالى وترك زينة الحياة الدنيا ومعاني العفة والطهر والنبل

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والكرامة في امرأتين آثرتا الدار الباقية على الدار الفانية والنعيم المقيم ، في جنات الخلد على زينة الحياة الدنيا وشهواتها .

فكانت امرأة فرعون نموذج المرأة المترفة ذات الجاه والمكانة والمنصب فتتسامى بعقيدتها وإيمانها على كل ذلك وتتحمل عذاب فرعون وزبانيته حتى تلحق بالرفيق الأعلى شهيدة في سبيل الله .

وكانت مريم ابنة عمران مثال الفتاة التي تنشأ في طاعة الله منذ نعومة أظفارها وتحصن عرضها عن الدنس ونفسها عن الهوى . إنها نموذج الطهر والعفاف والحصانة .

فبأمثال هذه النساء ينبغي أن تكون القدوة ، وينبغي أن تكون سيرهن المضيئة منهج سلوك المرأة في المجتمعات الربانية .

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الدرس الثاني
الهداية بيد الله سبحانه وتعالى

كثيراً ما يعيّر الدعاة إلى الله بأبنائهم ونسائهم وأقربائهم لأنهم لايلتزمون بدعوة وليّ أمرهم ، ويعتبرون ذلك قصوراً من الداعية نفسه .

وفي سير الأقدمين نماذج من الدعاة إلى الله ممن قاموا بدعوة الله على أفضل وجه وأكمله ، وهم رسل الله إلى الناس بل منهم من هو من أولي العزم من الرسل مثل نوح عليه السلام ومحمد ﷺ ، ويبقى من أقربائهم من يتنكب دعوته ويموت على جاهليته .

ولئن كانت سيرة نوح عليه السلام مع زوجه وابنه لم تنقل إلينا تفصيلاً لكن سيرة محمد ﷺ مع عميه أبي طالب وأبي لهب معروفة بتفصيلاتها ، فقد بقي رسول الله ﷺ يحاور عمه أبا طالب ويدعوه إلى كلمة التوحيد إلى آخر لحظة ويقول ياعماه قل لا إله إلا الله محمد رسول الله كلمة أحاج لك بها عند الله . ولكن يكون آخر كلام أبي طالب على ملة عبد المطلب .

فينزل قول الله تعالى في شأنه ﴿ **إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء** ﴾ (١) [القصص : ٥٦] .

إذن فلا ملامة على الدعاة إن وجد في أسرهم من لايلتزم دعوته أو يحاربها نعم تكون الملامة عليه إن لم يبذل جهده في دعوتهم وتبليغهم على الوجه الأكمل ترغيباً وترهيباً أما إذا بذل الأسباب فلم يفلح فلا مؤاخذة ولا عتب ولا لوم .

---

(١) أخرج مسلم والترمذي وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما حضرت وفاة أبي طالب أتاه النبي ﷺ فقال : ياعماه قل لا إله إلا الله أشهد لك بها عند الله يوم القيامة . فقال : لولا أن تعيرني قريش ، يقولون : ماحمله عليها إلا جزعه من الموت لأقررت بها عينك ، فأنزل الله ﴿ إنك لاتهدي ... ﴾ الآية . انظر الدر المنثور (٤٢٨/٦) .

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والجانب الآخر ينبغي أن لايستغرب أن يوجد بين فئات الناس من تيسرت أمامه سبل الهداية ودواعيها ووجد في بيئة علم وتقى وصلاح ، ثم يبقى على جهله أو كفره ، لايستغرب ذلك لأن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء . إن الكون مليء بالآيات والبراهين الدالة على توحيد الله سبحانه وتعالى ، فمن أوتي العقل فقد أوتي وسيلة الهداية فلا يحتاج إلى كثير عناء في الاستدلال . على شرائع الله وعلى صدق رسل الله وعلى وجوب الالتزام بشريعة خاتم النبيين ﴿ ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ﴾ [الاسراء : ٩٧] .

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الدرس الثالث
التربية عن طريق التلويح والتلميح والايحاء

إن النفوس البشرية جبلت على الاعتزاز بالمألوف المعتاد التي نشأت عليها ويصعب عليها التغيير وترك المألوفات ، وكثيراً ماتتولد القناعات الداخلية لدى المرء بخطأ الموقف وصحة الجديد وصوابه ولكن الاستجابة لهذا الجديد يشق على النفس وخاصة إذا اعتادت ملذات معينة وأسلوباً خاصاً في التعامل وأنساً معيناً بأصحاب وقرناء .

والحكمة تقتضي اتباع الأسلوب المناسب لكل حالة فكثير من الناس موقعهم في ذؤابة القوم ورئاستهم لاتنفع معهم المجابهة الصريحة . وآخرون ينفع معهم الوعد وتحقيق المصالح وغيرهم يجدي معهم الوعيد والشدة .

ولكن الأسلوب الذي يعم الجميع ويتجاوب مع كل الفئات أسلوب التلميح والإيحاء ، ولذلك كان أغلب أسلوب رسول الله ﷺ في دعوته التعميم والتلميح فكان يقول « ... فما بال العامل نستعمله فيأتينا ... » (١) .

وقد أخذه رسول الله ﷺ من الأسلوب القرآني في عدم تسمية الأقوام والأشخاص بأسمائهم مراعاة للجبلة الإنسانية في أخذها العزة في الدفاع عن نفسها .

ومن هذه الأساليب الإيحائية ذكر قصص السابقين الذين تمثلت في سيرهم قيم معينة وحملوا مبادئ ومثلاً تجسد في سلوكهم ، وبالتالي يدعى السامع لأخذ العبرة من ذلك .

---

(١) أخرج البخاري الحديث مطولاً ... انظر الصحيح كتاب الأيمان والنذور (٢١٩/٧) .

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي قصص القرآن الكريم نماذج لكل الشرائح البشرية فقصة نوح وإبراهيم وإسماعيل ويعقوب ويوسف وموسى وزكريا ويحيى وعيسى ولقمان وذي القرنين نماذج تقتدى بها في الصبر وتحمل الأذى والحكمة في الدعوة والرفق بالمدعوين والصدق في القول والعمل والتضحية وتحين الفرص لتبليغ الدعوة في الوقت المناسب للمدعوين ، والجرأة في الحق والتبتل إلى الله تعالى والزهد في متاع الحياة الدنيا وشهواتها .

أما قصص : نمروذ وفرعون وهامان وصاحب الجنتين فتمثل الطغيان الإنساني الذي تنحرف به الفطرة ليصل الطغيان إلى ادعاء الألوهية عندما تدفعه بطانته إلى التعالي وتزين له الاستبداد ، ولا يجد في القوم من يجهر في وجهه بكلمة الحق وتذكيره بخالقه الذي هو أشد منه ومن بطانته قوة . وكذلك النماذج البشرية التي تضفي صفة الخلود على المتع والملذات الدنيوية التي لايريد زوالها عنه ولايريد أن يسمع من يذكره بالآخرة التي سيكون فيها الزوال لمتعه الدنيوية وحسابه على كل ما قدمته يداه . لأن كل ذلك منغص عليه شهواته وملذاته الدنيوية . إن هذه النماذج تتكرر في الحياة البشرية في كل وقت وفي كل حين وفي كل مكان .

ولأثر أسلوب الإيحاء والتلميح في النفس الإنسانية وتربيتها سيقت هذه النماذج في حياة المرأة لتؤخذ العظات والعبر والدروس .

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عود على بدء

تقدم في مبحث المناسبات في سورة التحريم أن افتتاحية سورة التحريم تتناول أمرين يتعلقان برسول ﷺ وبزوجتيه عائشة وحفصة رضي الله عنهما واختتمت السورة بالإشارة إلى الأمرين .

فجاءت الإشارة الأولى بالتعريض بأمي المؤمنين وأن قربهما من رسول الله لن ينفعهما إن بقيا على تظاهرهما عليه وحبهما مايكره رسول الله ﷺ كما لم ينفع قرب امرأة نوح وامرأة لوط من زوجيهما لأنهما خالفتا عقيدة الزوجين ورسالتهما .

وفي ذلك تخويف وتحذير يتفطر له قلب المؤمن من هذا الإيماء والرمز ، وكانت قلوب أمهات المؤمنين من القلوب الرقيقة التي تحس بمثل هذه التلميحات والإشارات .

وجاءت الإشارة الثانية إلى امرأتين كانتا المثال الحسن والقدوة الرائعة للنساء في الترفع عن زينة الدنيا وشهواتها .

مات زوج احداهما كافراً وهو فرعون فأبدلها به خيراً وهو سيد البشر وخاتم النبيين ﷺ كما ذكرنا حديث الطبراني في ذلك .

والثانية مريم ابنة عمران عليها السلام حيث لم يكن لها زوج فوعد رسول الله ﷺ بالزواج بها يوم القيامة [1] .

وفي ذلك تكريم لهما وعوض لرسول الله ﷺ على ماكان من شأنه في هضم حق نفسه ابتغاء مرضاة أزواجه اللاتي تظاهرن عليه .

---

(١) جاء في الأثر أن الزوجين إذا ماتا مؤمنين وكانا من أهل الجنة فكل منهما أولى بصاحبه إذا كانا متراضين ، أما إذا مات أحدهما كافراً فلا اقتران بينهما وإذا لم يتراضيا فكذلك .

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وبذلك يكون آخر السورة قد رجع إلى أولها ، مع انتظام كل مقاطعها في محورها لتشكل سبيكة ذهبية من التوجيهات الربانية في تربية الأسرة المسلمة .

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الخاتمة

كانت هذه الجولات في آيات سورة التحريم ، لنستشف منها هدايات الذكر الحكيم ، ولنبرز جوانب من الأساليب التربوية التي تضمنتها لهداية البشرية على جميع مستويات أفرادها .

فمن أسلوب عتاب لصفوة عباده وسيدهم وأفضلهم ، إلى أسلوب مؤاخذة وتهديد ووعيد إلى المقربين من رسول الله ﷺ وهن أزواجه وأهل بيته ، إلى فتح باب التوبة والرجاء لهن ولغيرهن إذا بدرت منهم مايحتاج إلى أوبة إلى ربهم الرحيم إلى الدعوة إلى التوبة النصوح للحظوة بالتكريم وإتمام النور يوم القيامة إلى بيان سنة الله سبحانه وتعالى في المسؤولية الفردية فلا ينفع القرب من الصالحين مالم تختلط القلوب بشاشةُ الإيمان ، ولايضر القرب من الطالحين مادام القلب عامراً بحب الله ورسوله واليوم الآخر ، ومادام صاحبه يتطلع إلى جوار ربه ويترفع عن سفاسف الدنيا وزينتها التي تلهيه عن درجات المجد والخلود في جنات عرضها السماوات والأرض .

إن الأساليب التربوية التي وردت في هذه السورة العظيمة تصريحاً وتلميحاً بين وعد ووعيد وخوف ورجاء لا نكاد نحيط بها ـ وقد أشرنا إلى جملة منها خلال البحث ـ تكشف لنا عن جانب هام وهو العناية القصوى بتربية الأسرة الإسلامية تربية ربانية على منهج القرآن الكريم .

وهذه العناية بالأسرة معهودة في القرآن الكريم وذلك لأن الأسرة هي اللبنة الأولى التي يتكون منها صرح المجتمع الإسلامي ، فمنها يستمد المجتمع قوته ، وضعفها يسبب ضعف المجتمع وتآكله وانهياره .

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فلا غرابة أن نرى آيات القرآن الكريم تساير تكوين الأسرة من يوم الاختيار والخطبة إلى توثيق عرى النكاح وشروطه ثم بيان حقوق الزوجين ، ثم التعرض للعلاقة بينهما وبين ثمرة لقائهما وهم الأولاد ، ويضع الحلول المناسبة للمشكلات التي تنشأ بين أفراد العائلة ، إلى أن تنتهي العلاقة الزوجية طلاقاً أو وفاةً ثم تصفى هذه العلائق بالحقوق المادية والمعنوية لكل واحد منهما .

لم تظفر مؤسسة اجتماعية في المجتمع الإسلامي بما ظفرت بها الأسرة من تفصيلات في شؤونها وأحكامها وأطوار تكوينها ومراحل أفرادها ، وقد ذكرنا السبب في ذلك .

هذا وآمل أن أكون قد وفقت لإبراز جوانب من اهتمامات هذه السورة الكريمة التي دار محورها حول تربية الأسرة ، وإن كانت النظرة الأولى تجعل القارئ يظن أنها متعلقة بواقعة خاصة بآل بيت رسول الله ونحن نعلم أن حياة رسول الله ﷺ خارج بيته وداخله ، وعلاقته مع أزواجه كحياته العامة مع المؤمنين به وعلاقته معهم سواء . من كل ذلك يستمد التشريع الإسلامي . لذا كانت أمهات المؤمنين يعتبرن أن كتمان شيء من أحواله كتماناً للعلم يحاسبن عليه ، فلم يمتنعن عن الحديث عن كل صغيرة وكبيرة في حياته ﷺ .

وهذه الاستنباطات ، من دلالات الآيات الظاهرة ، ومن المناسبات بين مقاطع السورة ، ومن الإشارات والتلميحات في ضرب الأمثال ، فيها ميزة للتفسير الموضوعي حرصنا على إبرازها وتوضيحها .

والله أسأل أن يجعل ماكتبناه في صفحة أعمالنا وأن يجعله حجة لنا لا حجة علينا .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفهارس

- فهرس الآيات
- فهرس الأحاديث
- فهرس الأعلام
- فهرس المراجع
- فهرس الموضوعات

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فهرس الآيات

رقم الآية	السورة	الآيـــة	الصفحة
٢٤٤	البقرة	﴿ ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم ﴾	٢٨
٢٢٥	البقرة	﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾	٤٥
٩٣	آل عمران	﴿ كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ماحرم إسرائيل على نفسه ﴾	٣٠
١٨	النساء	﴿ وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت ﴾	٧١
١٩	النساء	﴿ وعاشروهن بالمعروف ... ﴾	٦٣
٨٩	المائدة	﴿ لايؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ﴾	٢٢
٦٧ ـ ٦٩	الأنفال	﴿ ماكان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ﴾	٢٠
٤٣	التوبة	﴿ عفا الله عنك لم أذنت لهم ﴾	٢١
٤٢ ـ ٤٦	هود	﴿ ونادى نوح ابنه وكان في معزل يابني اركب معنا ﴾	٨٣
٨١	هود	﴿ قالوا يالوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك ﴾	٨٤
١٠٦	النحل	﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ﴾	٨٨
١٥	الإسراء	﴿ ولاتزر وازرة وزر أخرى ﴾	٤٠ ـ ٨٦
٤٢	الإسراء	﴿ قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً ﴾	٤٥
٩٧	الإسراء	﴿ ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء ﴾	٩٣

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

رقم الآية	السورة	الآيـــة	الصفحة
٢٣ ـ ٢٤	الكهف	﴿ ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً ، إلا أن يشاء الله ﴾	٢١
٨٨ ـ ٩٥	مريم	﴿ و قالوا اتخذ الرحمن ولداً ، لقد جئتم شيئاً إداً ﴾	٤٣ ـ ٤٥
٢٢	الأنبياء	﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾	٤٥
١١ ـ ٢٠	النور	﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم في ماأفضتم فيه عذاب عظيم ﴾	٤٦
٦٣	النور	﴿ لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ﴾	٢٧
٦٩ ـ ٧٠	الفرقان	﴿ والذين لايدعون مع الله إلهاً آخر ﴾	٦٨
١٦٨ ـ ١٧٣	الشعراء	﴿ قل إني لعملكم من القالين ، رب نجني وأهلي مما يعملون ﴾	٨٤
٢٨	الأحزاب	﴿ ياأيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها ﴾	٣٩
٣٢ ـ ٣٣	الأحزاب	﴿ يانساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن ﴾	٤٨
٣٧ ـ ٣٩	الأحزاب	﴿ وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه ﴾	٢٣
٥٢	الأحزاب	﴿ لايحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ﴾	٥٣
٥٣	الأحزاب	﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم ﴾	٢٧
٧٣	الزمر	﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً ﴾	٧٥
٥٣	الزمر	﴿ ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ﴾	٧١
٢	الحجرات	﴿ ياأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ﴾	٢٦

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

رقم الآية	السورة	الآيـــة	الصفحة
١٢	الحديد	﴿ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ﴾	١٦
١٣	الحديد	﴿ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم ﴾	٧٦
٢٠	الحديد	﴿ اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم ﴾	٨٩
١٢	المجادلة	﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ﴾	٢٧
٧	الحشر	﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا ﴾	٢٩
١٤	التغابن	﴿ يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم ﴾	٦٦
١٢	الطلاق	﴿ الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن ﴾	١٢
١ ـ ١٦	عبس	﴿ عبس وتولى أن جاءه الأعمى ﴾	٢٠

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
« ألم أنبأ أنك تقوم الليل وتصوم النهار ... »	٦٤
« إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ... »	٧٠
« إن الله عز وجل يقبل توبة العبد مالم يغرغر ... »	٧٠
« أن امرأة من جهينة أتت رسول الله ﷺ ... »	٧٠
« أهديت لرسول الله ﷺ هدية فأرسل إلى كل امرأة من نسائه نصيبها ... »	٤١
« بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش ... »	٧٢
« دخل أبوبكر يستأذن على رسول الله ﷺ ... »	٤١
« دخلت عليه فقلت يارسول الله مايشق عليك من شأن النساء ... »	٤٠
« قلت لعمر بن الخطاب من المرأتان ؟ ... »	١٠
« كان النبي ﷺ إذا صلى الصبح دخل على أزواجه ... »	٩
« كان النبي ﷺ يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش ... »	٩
« كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً ... »	٦٨
« كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ... »	٦١
« لأنتن أهون على الله من أن تقمئني ... »	٤١
« لايفرك مؤمن مؤمنة ... »	٦٣
« لقد أطاف بآل محمد نساء كثير ... »	٦٢
« لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم »	٧٠
« لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه ... »	٦٨
« لما انقضت عدة زينب ... »	٢٥

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الحديث	الصفحة
« لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين ... »	٣٧
« ما عاب طعاماً قط ... »	٦٥
« من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه »	٧٠
« من حلف على شيء ثم رأى خيراً منه فليكفر عن يمينه »	٢٨
« من سبّح الله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين ... »	٧٢
« نعم الأدم الخل ... »	٦٥
« هن حولي كما ترى يسألنني النفقة ... »	٤١
« يانبي الله لقد جئت إليّ شيئاً ماجئت إلى أحد من أزواجك ... »	١٠

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فهرس الأعلام

الاسم	الصفحة
آسية بنت مزاحم	١٤ ، ٨٦
إبراهيم عليه السلام	٩٥
ابن جرير	١٠
ابن حجر	١١ ، ٤٢ ، ٥١
ابن سعد	٤١
ابن عباس	١٠ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٨٤ ، ٨٥
ابن كثير	١١ ، ٢٥
أبو بكر الصديق	٣٥ ، ٤١ ، ٦٥
أبو جحيفة	٦٤
أبو جعفر بن الزبير	١٣
أبو الدرداء	٦٤
أبو سعيد الخدري	٦٨
أبو طالب	٩٢
أبو موسى الأشعري	٧٠
أبو هريرة	٧٢
أحمد بن حنبل	٢٥
أم سلمة	١١ ، ٣٧ ، ٤٠
أم عمارة	٨٨
أنس بن مالك	٢٥ ، ٦٨
البخاري	٩ ، ١١ ، ٣٧
البقاعي	١٢ ، ١٤

الاسم	الصفحة
جابر بن عبد الله	٤١
جبريل عليه السلام	٤٠
حاطب بن أبي بلتعة	٥٥
حذيفة بن اليمان	٣٦
حفصة بنت عمر بن الخطاب	٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٥ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٨١ ، ٩٦
خديجة بنت خويلد	١٤
ذو القرنين	٩٥
الراغب الأصفهاني	٧٧
زادة	٢٩
زكريا عليه السلام	٨٨ ، ٩٥
زنيرة	٨٨
الزهري	٣٧ ، ٣٩ ، ٥٠
زيد بن حارثة	٢٤ ، ٢٥
زينب بنت جحش	٦ ، ٩ ، ١١ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٤١ ، ٥٠
سعد بن جنادة	١٤
سفيان	٨٥
سلمان الفارسي	٦٤
سودة	١٠ ، ١٤

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الاسم	الصفحة
الشوكاني	١١ ، ٥١
صديق حسن خان	١٥
صفية بنت حيي	٦
صفية بنت عبدالمطلب	٨٨
الطاهر بن عاشور	٣٧ ، ٥٢
الطبراني	١٤
عائشة الصديقة	٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٤ ، ١٥ ، ٢٣ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٥ ، ٦٥ ، ٨١ ، ٩٦
عبد الله بن أم مكتوم	٢٠
عبد الله بن عمر بن الخطاب	٧٠
عبد الله بن عمرو بن العاص	٦٤
عبد الرزاق الصنعاني	٩
عبد المطلب	٩٢
عروة	٩ ، ٦٥
عمران بن الحصين	٧٠
عمر بن الخطاب	٧ ، ١٠ ، ١٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٥٢ ، ٦٣
العوفي	٨٤
عياض (القاضي)	٣٧
عيسى عليه السلام	٨٨ ، ٩٥

الاسم	الصفحة
فاطمة بنت محمد ﷺ	١٤
الفخر الرازي	١٢ ، ١٥
فرعون	١٤ ، ٨١ ، ٩١ ، ٩٥ ، ٩٦
القرطبي	١١ ، ٥١
لقمان	٩٥
لوط عليه السلام	٨٤
مارية القبطية	٦ ، ١١ ، ١٠
مريم ابنة عمران	١٤ ، ٤٣ ، ٨١ ، ٨٨ ، ٩١ ، ٩٦
مسلم	٢٥ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤١
معمر	٩
موسى عليه السلام	٨٧ ، ٩٥
ميكائيل عليه السلام	٤٠
نمروذ	٩٥
نوح عليه السلام	٨٣ ، ٨٤ ، ٩٢ ، ٩٥
النووي	٣٧ ، ٥١
هامان	٩٥
هشام	٩
يحيى عليه السلام	٩٥
يحيى بن سلام	١٥
يعقوب عليه السلام	٢٩ ، ٩٥
يوسف عليه السلام	٩٥

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فهرس المراجع

الاسم	المؤلف	الطبعة
الإتقان في علوم القرآن	السيوطي	المكتبة الثقافية
الإصابة في تمييز الصحابة	ابن حجر العسقلاني	مؤسسة الحلبي
التحرير والتنوير	الطاهر بن عاشور	الدار التونسية للنشر
تفسير الخازن (لباب والتأويل)	الخازن	المكتبة الشعبية
تفسير الطبري (جامع البيان)	ابن جرير الطبري	دار المعرفة
تفسير القرآن	عبد الرزاق الصنعاني	مكتبة الرشد
تفسير القرآن العظيم	ابن كثير	دار إحياء الكتب العربية
تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)	القرطبي	دارالكتب
الجامع الصحيح (صحيح البخاري)	البخاري	استانبول
الجامع الصحيح (صحيح مسلم)	مسلم	دارالفكر
الجامع الصحيح (سنن الترمذي)	الترمذي	دار الفكر
حاشية زاده على البيضاوي	الشيخ زادة	تركيا
حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة	صديق حسن خان	الإمام
الدر المنثور	السيوطي	دار المعرفة
روح المعاني	الألوسي	دار إحياء التراث العربي
زاد المسير	ابن الجوزي	المكتب الإسلامي
سنن ابن ماجة	ابن ماجه	دار إحياء التراث العربي
شرح النووي على صحيح مسلم	النووي	رئاسة إدارة البحوث
عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ	السمين الحلبي	دار السيد للنشر
فتح الباري شرح صحيح البخاري	ابن حجر العسقلاني	دار الباز

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاسم	المؤلف	الطبعة
فتح القدير	الشوكاني	البابي الحلبي
الفتوحات الإلهية	الجمل	عيسى البابي الحلبي
مختصر سنن أبي داود	المنذري	دار المعرفة
مسند الإمام أحمد	أحمد بن حنبل	المكتب الإسلامي
مفاتيح الغيب	الفخر الرازي	دار الكتب العلمية
المفردات في غريب القرآن	الراغب الأصفهاني	مكتبة الأنجلو المصرية
منار الهدى	الأشموني	دار المصحف
نظم الدرر في تناسب الآيات والسور	البقاعي	الدار السلفية
النكت والعيون	الماوردي	الكويت
النهاية في غريب الحديث والأثر	ابن الأثير	دار إحياء التراث العربي

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
● المقدمة	٣
بين يدي سورة التحريم	٦ ـ ١٧
أسماؤها	٦
عدد آياتها	٦
المرحلة الدعوية التي نزلت سورة التحريم فيها	٦
أسباب نزولها	٩
المناسبات في سورة التحريم	١٢
محور سورة التحريم	١٦
● المقطع الأول : عتاب ومغفرة	١٨ ـ ٣١
الأساليب القرآنية في عتاب الرسول ﷺ	٢٠
دروس وعبر	٢٦
● المقطع الثاني : إفشاء سر الزوجية وعواقبه	٣٢ ـ ٥٧
المناسبة بين هذا المقطع وسابقه	٣٤
الحديث المستكتم	٣٥
المتظاهرتان	٣٧
الحكمة في الوعيد الشديد للمتظاهرتين	٤٣
بين سورة الأحزاب وسورة التحريم	٥٠
دروس وعبر	٥٤
الدوافع النفسية وراء إفشاء السر	٥٤

التجديد والتطوير NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الموضوع	الصفحة
المرأة والطلاق	٥٦
الصفات المرغوبة في الزوجة	٥٧
● المقطع الثالث : دور القدوة في تربية الأسرة	٥٨ ـ ٧٨
المناسبة بين هذا المقطع وسابقه	٦٠
مسؤولية الرجل عما تحت رعايته	٦١
أساليب في التربية	٦٧
الأسلوب الأول : الدعوة إلى التوبة وفتح باب الأمل	٦٧
الأسلوب الثاني : العطاء الكثير على العمل القليل	٧٢
الأسلوب الثالث : التكريم على ملأٍ من الناس	٧٤
الأسلوب الرابع : الجهاد والغلظة في القول	٧٧
● المقطع الرابع : العظات والعبر في سير الأقدمين	٧٩ ـ ٩٧
المناسبة بين هذا المقطع وسابقه	٨١
النماذج السيئة التي لم ينفعها قربها من الصالحين	٨٢
النماذج الحسنة التي لم يضرها القرب من أهل السوء	٨٦
دروس وعبر	٩٠
تمثل المبادئ بالأشخاص	٩٠
الهداية بيد الله سبحانه وتعالى	٩٢
التربية عن طريق التلويح والتلميح والإيحاء	٩٤
عود على بدء	٩٦
● الخاتمة	٩٨
● الفهارس	١٠٠

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذا الكتاب

الكتاب الثاني في سلسلة التفسير الموضوعي

● وقد تناول المؤلف في الكتاب الأول منهج الكتابة في التفسير الموضوعي وساق تفسير سورة الكهف نموذجاً تطبيقياً للدراسة المنهجية . وكان نموذجاً من القرآن المكي ، وفي هذا الكتاب ساق المؤلف نموذجاً من القرآن المدني سار فيه على المنهج الذي رسمه في الكتاب الأول ، والقصد من ذلك رفع معالم هذا اللون من التفسير الذي يتركز على إبراز محور السورة والاهتمام بالمناسبات فيها وربطها مع مقاطعها بهذا المحور . وفي المناسبات ووجوه الربط بين المقاطع تكمن لطائف القرآن الكريم .

الناشر